

1985



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الطاعون الجارف وتأثيره الذهني والديموغرافي على إنسان بلاد المغرب الإسلامي إلى تمام القرن 9هـ/15م

مذكرة مكتملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

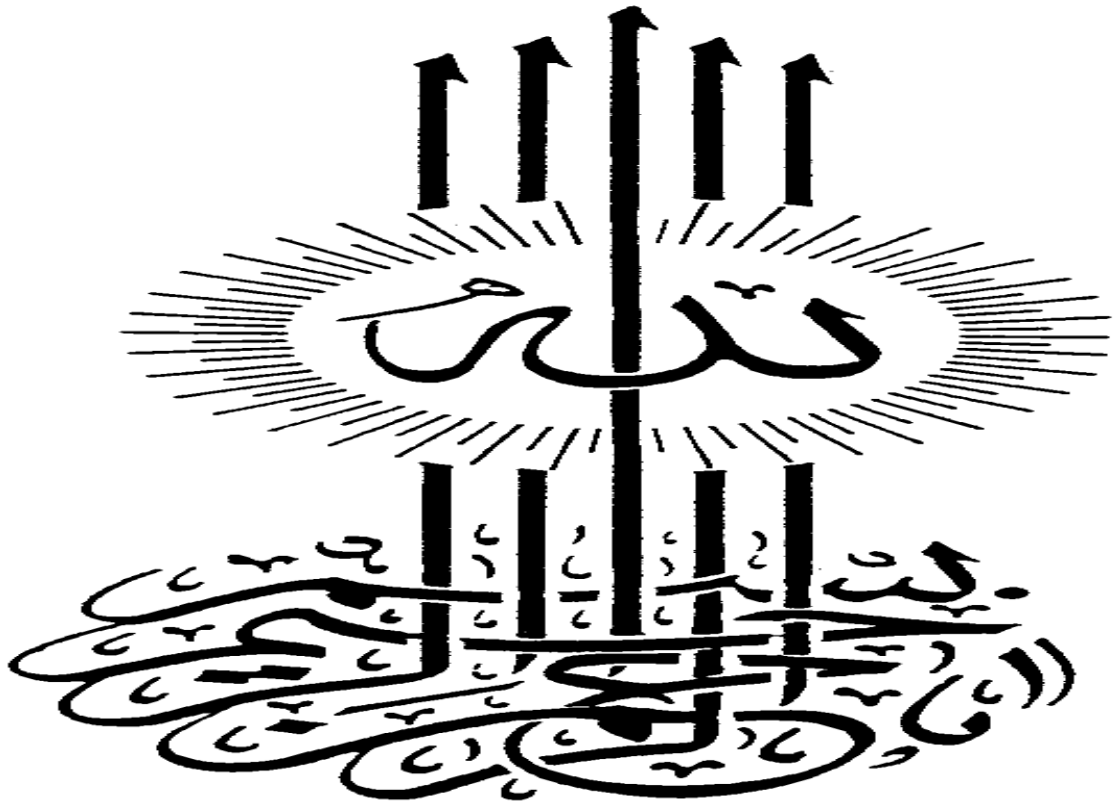
إشراف الأستاذ:

د. عبد الغني حروز

إعداد الطالب(ة):

عبير بلالطة

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/2019-2020م



وَأُولَا مَرْضَاتٍ فَهُوَ يَشْفِينَا

الإهداء :

الحمد لله تعالى صاحب العزة والجلالة خلق كل شيء من عدم ووهب الإنسان جميع النعم، فأبعده عن سبل الضلالة وبعث له الأنبياء بالرسالة فأنقذه بنور العقل من ديجور الجهل.

سبحانه الجواد الأكرم الذي علمنا بالقلم ما لم نكن به نعلم، والصلاة والسلام الأكملا الأتمان على سيد الأولين والآخرين خاتم الأنبياء والمرسلين إمام العلماء والمتعلمين حبيبنا محمد الصادق الأمين.

أهدي هذا العمل الذي هو ثمرة مجهوداتي إلى كل شخص وقف معي وساندني في دروب حياتي إلى الوالدين العزيزين رفيقة وزين الدين حفظهما الله رب العالمين.

إلى زوجي الأطهر يونس بلخضر وقرة عيني تاج الرأس ابني الحبيب نبراس رعاهما الله رب الناس.

إلى إخوتي الأعزاء نبع المحبة والصفاء يحيى، موسى، مروة.

وفقهم الله في الحياة وغمرهم بنهر النجاحات.

إلى أخي الغالي حسام طيب الذكر والمقام وزوجته وأولاده وفقه الله في حياته.

وإلى عائلة الزوج الأكارم حفظهم الله ورعاهم

إلى الجدة الحنونة البديعة صاحبة المكانة الرفيعة الغالية زبيدة

أطال الله في عمرها ورفع قدرها.

وإلى شهيد العلم أصيل بلالطة

إلى صديقاتي العزيزات نفيسة، إيناس، زينب وفقهن الله في حياتهن.

شكر وعرّفان:

من لم يشكر الناس لم يشكر الله

أقدم أسمى عبارات الشكر الجزيل إلى :

الأستاذ المشرف الدكتور عبد الغني حروز.

الأستاذ عبد الرزاق خضور.

وإلى الزميلتين الطالبتين نفيسة خضراوي ورزيقة

بلحوت.

المقدمة

1- أهمية الموضوع وإشكالياته:

ظهر خلال العقود الأخيرة نوع جديد من الدراسات التاريخية، وهو ما يسمى بالتأريخ للأزمة كالأزمات والمجاعات والأوبئة والكوارث الطبيعية...، والذي يندرج ضمن برنامج مدرسة الحوليات الفرنسية التي نقلت التاريخ من التأريخ للأحداث السياسية والعسكرية والدبلوماسية إلى التأريخ للبنيات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والتأريخ للأمراض والأوبئة أصبح حقلاً قائماً بذاته، وموضوع الطاعون واحد من أهم المواضيع ضمن هذا الحقل، ونظراً لأهميته الكبيرة وتأثيراته الكثيرة ونخص بذلك أشهر طواعين العصر الوسيط، وهو طاعون منتصف القرن الثامن الهجري، فإننا قد خصصنا له هذه الدراسة وعلى الرغم من أن هذا الأخير عُذَّ كارثة إنسانية مرعبة بسبب سرعة انتقاله وانتشاره وقوة فتكه وتدميره، إلا أننا نجد الأسطوغرافيا التاريخية المغربية الوسيطة قد غيبت الحديث عن هذا الطاعون، إذ أن الباحث بالكاد يجد مؤلفاً مخصصاً له باستثناء بعض الشذرات المتناثرة هنا وهناك في ثنايا كتب الأخبار والحوليات ونجد ذلك في سياق الحديث عن الأحداث السياسية والحملات العسكرية فيضطر الباحث إلى الاستعانة بمظان أخرى عدت إلى وقت قريب لا تاريخية ومن أمثلتها كتب الفقه والنوازل الفقهية، كتب اللغة والدواوين الشعرية، كتب الجغرافيا وأدب الرحلة.

ولأن الاستشكال هو جوهر البحث قد قمنا بطرح الإشكاليات التالية:

* لماذا أُعتبر طاعون منتصف القرن الثامن الهجري أخطر طواعين العصر

الوسيط وأكثرها فتكاً، وكيف كانت تأثيراته على إنسان بلاد المغرب الإسلامي؟

- إلى أي مدى فرق علماء العصر الوسيط بين مفهومي الوباء والطاعون؟
- كيف كانت نظرة الفقيه والطبيب لبعض المسائل المرتبطة بالطاعون؟
- هل يعتبر الطاعون الجارف كما أطلق عليه ابن خلدون عامل من عوامل تخلف بلاد المغرب الإسلامي؟

2- أسباب اختيار الموضوع:

- جاء اختيارنا لهذا الموضوع بناء على عدة اعتبارات:
- قلة الدراسات التي اهتمت بموضوع الطاعون، فلم يحض بنصيب كاف من الأبحاث.

- جدة الموضوع في دراسات الماستر.

- لفت انتباهنا بعد أن تم طرحه للامتحان في الدكتوراه التي نظمها جامعة عبد الحميد مهري بقسنطينة عام 2019م، وعلى الرغم من أن اختيارنا للموضوع كان في بداية الموسم الجامعي، إلا أنه تصادف مع ظهور جائحة كورونا العالمية، حيث ظهرت عدة نقاط مشتركة بين طاعون العصر الوسيط وكورونا الزمن الراهن.

3- منهج الدراسة:

- أثناء انجازنا لهذا الموضوع اتبعنا المنهج التاريخي بآلياته المتعددة منها: النقد والتحقيق والتحليل والتفسير والمقارنة.

ويمكن تقديم بعض النماذج على سبيل المثال لا الحصر:

- * النقد والتحقيق: ظهر توظيفنا لآلية النقد والتحقيق عند التطرق إلى مفهومي الوباء والطاعون عند اللغويين، وفي الحديث عن التأثير الذهني للطاعون.

أما فيما يخص آليتي التحليل والتفسير فقد جاء استخدامها في عرض رأيي ابن خاتمة وابن الخطيب عن حديثها عن العدوى، أما فيما يخص آلية المقارنة فهي الأكثر ظهوراً في البحث ومن أمثلة ذلك عند تناولنا لمفهوم الطاعون بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي وفي مسائل الخلاف بين الطبيب والفقير وعن المعطيات الانطباعية والرقمية للتأثيرات الديمغرافية للطاعون.

4- هيكل الموضوع:

على ضوء المادة العلمية التي جمعناها حول موضوع البحث ارتأينا إلى تقسيمه كالتالي:

المقدمة: تضمنت أهمية الموضوع والإشكالية وأسباب اختيار الموضوع والمنهج المتبع ثم هيكل الموضوع وتحليل المادة العلمية، ثم الصعوبات.

الفصل الأول: الطاعون: المصطلح والمفهوم، حيث عنيانا فيه بضبط مصطلحي الوباء والطاعون وأنواع الطواعين مع توظيف أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم حول الطاعون والتطرق إلى أول طاعون في التاريخ الإسلامي.

الفصل الثاني: الطاعون في المدونة الإسلامية الوسيطية، تناولنا فيه الجدل بين الفقير والطبيب حول مسائل تعلقت بالطاعون، وأوردنا فيه بعض الأبيات الشعرية التي نظمت في طاعون موضوع البحث، كما تطرقنا إلى ذكر بعض المؤلفات المغربية والأندلسية التي تحدثت عن الطاعون بصفة عامة، وأدرجنا بعض الأدعية التي قيلت زمن الطاعون.

الفصل الثالث: طاعون منتصف القرن الثامن الهجري في بلاد المغرب: منطلقاته ومآلاته: تناولنا فيه انتقال الطاعون وأسباب انتشاره في بلاد المغرب

الإسلامي، والتسميات التي أطلقت عليه، كما تناولنا مواجهة العوام الخواص لهذا الطاعون، وتطرقنا إلى التأثير الديموغرافي والذهني الذي خلفه.

وفي النهاية وضعنا خاتمة البحث تضمنت حوصلة النتائج الجزئية المتوصل إليها عبر مختلف أقسامه مع محاولة التركيب فيما بينهما.

5- تحليل المادة العلمية:

استقينا المعلومات الخاصة بهذه الدراسة من عديد المصادر وعملنا على استنطاقها، كما استعملنا مجموعة من المراجع نصوغ أهمها:

أ- نقد المصادر:

-كتب الأخبار والحواليات:

*كتاب ابن خلدون (808هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، خاصة كتاب المقدمة الذي قدم لنا وصفا حيا للمشهد المرعب في العالم كله جراء الطاعون، وقد كان وصفه دقيقا إلا أنه لم يقدم لنا إحصائيات رغم معاشته للأحداث.

*السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي (ت845هـ): حيث تحدث عن الجذور الأولى للطاعون ووصفه بالعالمية وأمدنا بإحصائية تخص منطقة برقة وواصفا لنا الخراب الذي حل بإفريقية جراء هذا الطاعون إلا أن المعروف عن المقريزي المصري اهتمامه بالتأريخ لبلاد المشرق.

-كتب التراجم والأعلام:

ومن أهم المصادر المعتمد عليها كثيرة نذكر من بينها كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (ت776هـ) الذي أفادنا ببعض الشخصيات المتواجدة في البحث وكذا كتابي نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتمبكتي (ت1036هـ) وكتاب الوفيات لابن قنفذ القسنطيني المتوفى (810هـ) اللذان قدما لنا بعض من هلكوا في الطاعون.

-كتب الفقه والنوازل الفقهية:

كتابي بذل الماعون في فضل الطاعون لابن حجر العسقلاني (ت852هـ) والأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية لمحمد المواق (ت897هـ) محمد الرصاع (ت894هـ) اللذين ساعدانا على التفريق بين مصطلحي الوباء والطاعون إلى جانب تناولهما لمسائل تعلقت بالطاعون كأسبابه ومسألة العدوى.

-كتب الطب:

*تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد للطبيب الأندلسي ابن خاتمة (ت770هـ) في هذا الكتاب أفرد الحديث عن الطاعون موضوع البحث حيث تناول الجذور الأولى لظهوره ثم انتقاله إلى بلاد الأندلس والمغرب وتناول طرق الوقاية من الطاعون ومسائل تعلقت به (أسبابه ومسألة العدوى) كما دعم آرائه وأفكاره بالدلائل الشرعية ومقدما لأعداد الوفيات الذين هلكوا في الطاعون في العدوتين المغربية والأندلسية.

*الطب النبوي لابن القيم الجوزية (ت751هـ) الذي أعطانا مفهوما شاملا للطاعون كما أشار إلى الحجر الصحي والعزل.

-كتب اللغة:

اعتمدنا على على الصحاح للجوهري (ت393هـ)، ولسان العرب لابن منظور (ت711هـ) -الأكثر إفادة لنا في شرح الكلمات غير الواضحة- والقاموس المحيط للفيروزبادي (ت817هـ) هذه الكتب أمدتنا بالتعريفات اللغوية لمصطلحي الوباء والطاعون.

-كتب الدواوين الشعرية:

اعتمدنا على ديوان ابن الوردي لابن الوردي (ت749هـ) الذي توفى بسبب هذا الطاعون، فقد أعطانا وصفا حيا لما خلفه الطاعون وصوره في أبياته الشعرية. واعتمدنا على ألحان السواجع بين البادئ والمراجع للصفدي (ت764هـ) واصفا الأعراض التي تحدث للمصاب بالطاعون وراويا حال دمشق في أيام هذا الطاعون وبأن هذا الأخير قد أهلك كل من جاء بطريقه.

-الجغرافيا وأدب الرحلة:

*رحلة ابن خلدون لابن خلدون (ت808هـ) أمدنا بوصف عن هول المشهد وأدرج أسماء لعلماء ماتوا بالطاعون، كما أشار إلى وفاة والديه كذلك.

*تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لابن بطوطة (ت779هـ) رغم أن ابن بطوطة مغربي وعاش هذا الطاعون إلا أنه اقتصر على تسميته، ووصف حال مراكش فقط بالخراب دون تزويدنا بإحصائيات على عكس ما قدمه عن المشرق من إحصائيات شملت مناطق عديدة.

*وصف إفريقيا لحسن الوزان (ت960هـ) على الرغم من أن حديثه عن الطاعون كان في بضعة أسطر لا أكثر إلا أنه أفادنا في عديد النقاط من أن الطاعون كان يأتي

دوريا كما أنه كان يضرب المناطق الشمالية دون الصحراوية إلى جانب هلاكه لأعداد كثيرة كما صنف نفسية المغاربة إزاء الطاعون بالاستسلامية.

ب- تحليل المراجع:

*الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الطاعون محدودة جدا إلا أنها كانت بمثابة الشمعة التي أنارت طريقنا في إنجاز هذا البحث ونذكر منها الطاعون وبدع الطاعون الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير 1350م 1800م للباحث التونسي حسين بوجرة، وقد أفادنا في الإحالة إلى المصادر التي تناولت طاعون منتصف القرن الثامن الهجري.

*مقالة المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون الأعظم والطواعين التي تلتها للباحث التونسي أحمد السعداوي، وأفادنا في معرفة العوامل التي تسببت في انتقال وانتشار الطاعون إلى بلاد المغرب الإسلامي.

وأكد أن سبب التغيب في مثل هذه الدراسات يتمثل في قلة المصادر.

6- الصعوبات:

خلال إنجازنا لهذا البحث اعترضتنا العديد من الصعوبات نذكر منها:

*الظروف الصعبة العامة التي واكبت إنجاز هذا البحث والمتمثلة أساسا في تأثير جائحة كورونا على اعتبار أن موضوع بحثنا يستوجب الانتقال إلى المكتبات لاقتناء الكتب خاصة وأن أغلب مصادره ومراجعته ورقية.

*قلة المادة العلمية المتعلقة بموضوع البحث.

*صعوبة فهم اللغة الفقهية والمصطلحات الطبية.

الفصل الأول:

الطاعون: المصطلح والمفهوم

أولاً: مفهوم الوباء والطاعون.

ثانياً: أنواع الطواعين.

ثالثاً: طرق الوقاية من الطاعون.

رابعاً: الطاعون في مدونة الحديث النبوي الشريف.

خامساً: طاعون عمواس (18هـ/693م) أشهر الطواعين في

الإسلام.

أولاً- مفهوم الوباء والطاعون :

1- مفهوم الوباء عند اللغويين والأطباء:

أ- عند اللغويين:

يعرفه الجوهري (ت393هـ/1002م) في الصحاح فيقول: الوباء يمدُّ ويقصر: مرض عام وجمع المقصور أوباء، وجمع الممدود أوبئة، وقد وِبِنَتِ الأرضُ تَوْباً وَبَاءً، فهي مَوْبُوءَةٌ، إذا كثر مرضها، وكذلك وَبِنَتْ تَوْباً وَبَاءَةً، فهي وِبِيئةٌ ووبِيئةٌ على فعلةٍ وفعيلةٍ، وفيه لغة ثالثة أوبأت فهي موبئةٌ واستوبأت الأرض: وجدتها وَبِيئةً¹.

ويقول ابن منظور (ت711هـ/1311م) في لسان العرب وبأ الوباء: الطاعون بالقصر والمد والهمز، وقيل كل مرض عام، جمع الممدود أوبئة، وجمع المقصور أوباء، وقد وِبِنَتْ الأرضُ تَوْباً وَبَاءً، وأرض وِبِيئةٌ على فعيلة، ووبئةٌ على فعلةٍ كثيرة الوباء².

ويطلق على الوباء أيضاً القرف أي العدوى، فيقال اقترف فلان من مرض آل فلان، ويقال أيضاً احذر القرف في غنمك³.

¹ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت393هـ): الصحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1399هـ/1979م، ج1، ص79.

² أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت711هـ): لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.س)، مج6، ص4751.

³ المصدر نفسه، مج5، ص3600.

وحسب الفيروز آبادي (ت817هـ/1415م) صاحب القاموس المحيط، فإنه يقول: الوباء محرّكة الطاعون، أو كل مرض عام، جمع أوباء، وجمع الممدود أوبئة، وبئت الأرض والاسم البيئة، استوبأها: استوخمها¹.

ب- عند الأطباء: يعرف الأطباء الوباء على أنه بعض التعفن الذي يعرض في الهواء، ويحول جوهر هذا الأخير إلى الرداءة²، فيقع في الأبدان ويؤثر فيها تأثيراً عظيماً³، وأسباب هذا الفساد أرضية وأخرى سماوية، فمن الأسباب الأرضية الجيف الكثيرة في الحروب إذا لم يتم دفن القتلى أو لم تحرق⁴، أو سياق الرياح إلى المواضع الجيدة أدخنة رديئة⁵.

أما الأسباب السماوية إذا كثرت الشهب والرجوم في آخر فصل الصيف وفي الخريف، وإذا كثرت علامات المطر في الشتاء ولم تمطر، وإذا كان الربيع قليل المطر بارداً، أو كان هناك تكدر في هواء الجنوب لأيام ثم صفا أسبوعاً، وكانت حرارة شديدة في النهار وبرد ليلاً فقد جاء الوباء⁶.

¹ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت817هـ): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م، ص55.

² أبي علي الحسين بن علي بن سينا (ت428هـ): القانون في الطب، وضع حواشيه: محمد أمين الضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420هـ/1999م، ج1، ص125.

³ أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله اللخمي الشقوري (ت776هـ): النصيحة، تحقيق: محمد حسن، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 2013م، ص256.

⁴ ابن النفيس علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي (ت687هـ): الموجز في الطب، قرأه وقدم له وعلق عليه: يحيى مراد عبد الكريم، منتديات الكتب المصورة، منتديات مكتبتنا العربية، (د.م)، (د.س)، ص286.

⁵ ابن سينا: المصدر نفسه، ج3، ص87.

⁶ ابن النفيس: المصدر نفسه، ص286.

ومن علامات الوباء كثرة الضفادع وكثرة الحشرات المتولدة من العفونة، وكذلك مشاهدة الفأر والحيوانات التي تسكن قعر الأرض تهرب إلى ظاهرها، وهروب الحيوانات الذكية كاللقلق¹.

2- الطاعون في المصادر العربية الوسيطية بين التعريف اللغوي

الإصطلاحي:

أ- الطاعون لغة:

يعرفه الجوهري (ت393هـ/1002م) بأنه الموت الوحي من الوباء، والجمع الطواعين².

ويتفق ابن منظور (ت711هـ/1311م) والفيروز آبادي (ت817هـ/1415م) على أن الطاعون هو الوباء وجمعه طواعين³.

يلاحظ المطلاع على رسالة الباحثة سمية مزدور أنها أشارت إلى أن اللغويين أخلطوا بين مفهوم الطاعون والوباء⁴، لكننا لاحظنا أن هناك من اللغويين من فرق بين المفهومين، وهو الجوهري المتوفى سنة 393هـ صاحب كتاب الصحاح.

وهذا ما أكده ابن قيم الجوزية الذي أخذ التعريف اللغوي للطاعون من عند الجوهري، وقال ابن القيم أن الطاعون عند اللغويين نوع من الوباء⁵.

¹ ابن سينا: المصدر السابق، ج3، ص89.

² الجوهري: المصدر السابق، ج6، ص2158.

³ ابن منظور: المصدر السابق، مج4، ص2678، الفيروز آبادي: المصدر السابق، ص1213.

⁴ سمية مزدور: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588هـ-927هـ/1192م-1520م)، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1429هـ-1430هـ/2008م-2009م، ص21.

⁵ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية (ت751هـ): الطب النبوي، ط2، دار نوبليس، بيروت، لبنان، 2010م، مج1، ص58.

ب- الطاعون اصطلاحاً:

تعددت التعاريف للطاعون نذكر منها:

* الطاعون عند ابن سينا (ت428هـ/1037م) هو الخُراج¹ الذي يقع في اللُحوم الرخوة² والمغابن³ وخلف الأذنين والأرنبية وكان من جنس فاسد⁴.

* الطاعون عند ابن قيم الجوزية (ت751هـ/1350م) يُعبر عن الطاعون عند ابن القيم بثلاث أمور:

أولاً: الأثر الظاهر عن الطاعون، وهو تعريف الأطباء له بأنه ورم⁵ رديئٍ قتال يخرج معه تلهب شديد مؤلم جداً، ويصير ما حوله في الأكثر أسود أو أخضر أو أكمد، ويؤول أمره إلى التقرح سريعاً، وفي الأكثر يحدث في ثلاث مواضع، الإبط، وخلف الأذن والأرنبية، وفي اللُحوم الرخوة.

ثانياً: الموت الحادث عنه، وهو المراد بالحديث الصحيح، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الطاعون شهادة لكل مسلم"⁶.

¹ الخُراج: ما يخرج في البدن من القروح، (الجوهري، ج1، ص309).

² اللُحوم الرخوة: الغدد اللمفاوية، (سمية مزدور: المرجع السابق، ص21).

³ المغابن: مفرد مغبن وهو الإبط والرفع بواطن الأفضاخ، (الفيروز آبادي، ص1219).

⁴ ابن سينا: المصدر السابق، ج1، ص108.

⁵ الورم: انتفاخ يعرض على سطح الأعضاء، ويوجد فيه أجناس الأمراض، (محمد ياسر بن محمد جميل زكور: اصطلاحات الطب القديم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2018م، ص602).

⁶ أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب، باب أجر الصابر في الطاعون، رقم الحديث 5400، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت256هـ)، ضبط وترقيم: مصطفى ديب البغا، نشر مشترك موفم للنشر ودار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 1912م، ج5، ص2165.

ثالثاً: السبب الفاعل لهذا الداء، وهو ما ورد في الحديث¹ عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الطاعون رجزٌ أرسل على طائفة بني إسرائيل"².

*الطاعون عند ابن خاتمة (ت770هـ/1369م): حمى خبيثة دائمة عن سوء مزاج قلبي، بسبب تغير الهواء عن حاله الطبيعية إلى الحرارة والرطوبة مهلكة في الغالب، يتبعها كرب وعرق غير عام لا يعقب راحة ولا ترتفع عقبه حرارة، وقد توجد لها فتور في اليوم الثاني واضطراب في عامة الأوقات، ثم تتزايد من بعد، وقد يتبعها تشنج وبرد في الأطراف وقىء مراري سمج متواتر وعطش واختلاف سمج على ألوان أو ثقل في الصدر وضيق في النفس ونفث دم، أو نخس في أحد الجانبين أو تحت أحد النهدين مع التهاب وعطش شديد وسعال وسواد في اللسان أو تورم في الحلق واختناق مع امتناع الابتلاع أو غيره أو وجع في الرأس أو سدد ودوار أو غيثان وانطلاق فضول سمجة، وقد تتداخل بعض هذه الأعراض، وقد يكون ذلك مع نتو عقد وطواعين تحت الإبطين أو في الأربيتين -المنطقة بين البطن والفخذ- أو خلف الأذنين، أو فيما يلي هذه المواضع بوجع متقدم في الموضع أو دونه، وقد تحدث قروح يسود في مواضع من الجسد وأكثر من ذلك في الظهر والعنق، وقد تحدث في الأطراف³.

¹ ابن قيم الجوزية، المصدر السابق، ج1، ص.ص58-60.

² أخرجه مالك في الموطأ: كتاب الجامع، باب ما جاء في الطاعون، رقم الحديث 2612، مالك بن أنس (ت179هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م، مج2، ص475.

³ أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد بن علي بن خاتمة (ت770هـ): تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، ط1، تحقيق: محمد حسن، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 2013م، ص.ص130-131.

*الطاعون عند ابن الخطيب (ت776هـ/1375م): هو مرض حاد حار، سميّ يتصل بالروح بدءاً بواسطة الهواء ويسري في العروق فيفسد الدم، وتتبعه الحمى ونفث الدم ويظهر عنه خُراج¹.

3-تعريف المعاصرين للطاعون:

هو مرض وبائي عامله الجرثومة التي اكتشفها العالم بيرسن سنة 1894م، والتي سميت باسمه² وهو مرض معد وخطير³، وقد اكتشف العالم بول لويس سنة 1898م أن حشرة برغوث الجرذان هي الناقل لهذا المرض⁴، فهي تلعب دور الوسيط بين الجرذان والحيوانات الأخرى وكذا البشر فإذا ما قرصت الإنسان يتقيئ كل ما في معدته من الميكروبات وتنتقل داخل الجسم بواسطة الأوعية اللمفاوية إلى الغدد اللمفاوية الموجودة في المُرَاق -منطقة التقاء الفخذ بأسفل البطن- هذا في حال كانت العضة في المناطق السفلى من الجسم أما إذا كانت في المناطق العليا كاليد والعنق فتصيب الغدد اللمفاوية تحت الإبط⁵، وقد تصيب هذه الميكروبات الرئتين فيصبح خطراً جداً والطاعون يأتي على شكل جائحة تجتاح البلاد والعباد، وتحصد في طريقها الألوف من الناس⁶، فقد دار جدال بين العلماء والأطباء حول ما إن كانت بيكتيريا

¹ أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن الخطيب السلماي الغرناطي (ت776هـ): مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، تحقيق وتقديم حياة قارة، ط1، مطبعة الكرامة، الرباط، المغرب، 1436هـ/2018م، ص65.

² يوسف الحاج: أحمد موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ط2، مكتبة ابن حجر، دمشق، سوريا، 1424هـ/2003، ص610.

³ عمر محمود عبد الله: الطب الوقائي في الإسلام، ط1، شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة، الموصل، العراق، 1410هـ/1990م، ص80.

⁴ Marc Simond Margaret Godley Pierre Mouriouand: Poul louis simond and his discovery of plague transmission by rat fleas a centenary, journal of the royal society of medcin february, 1998, p101.

⁵ عمر محمود عبد الله: المرجع نفسه، ص80.

⁶ يوسف الحاج: المرجع نفسه، ص610.

بيرسينا هي المسبب للموت الأسود¹ خاصة وهي في الوقت الحالي تبدو أكثر سلمية بالمقارنة مع أسلافنا التي هتكت بأرواح عديدة².

وللتأكد من بكتيريا يرسينا قام العلماء بإجراء تحاليل في لب أسنان ضحايا هذا الوباء الفتاك بعد العثور على مقبرة جماعية أسفل محطة قطارات لندن³، وأسفر هذا التحليل على أن هذه البكتيريا هي المسؤولة عن الطاعون⁴.

4- الفرق بين الوباء والطاعون:

الطاعون من الوباء وهذا الأخير المرض العام، فقد يكون الطاعون وقد يكون لا يكون، فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعون⁵.

فقد ثبت في الحديث أن المدينة لا يدخلها الطاعون وقد دخلها الوباء⁶، فعن أبي هريرة "رضي الله عنه" قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال"⁷.

أما بالنسبة للوباء الذي دخلها، فعن عائشة "رضي الله عنها" قالت: "دخلنا المدينة وهي أوبأ أرض الله وقد مرض بها بلال بن رباح وأبا بكر الصديق"، وقد قال

¹ Michel Drancourt and Didier Raoult: Molecular detection of yersinia pestis in dental pulp microbiology, 150 s.d p263.

² أحمد العدوي: الطاعون في العصر الأموي صفحات مجهولة من تاريخ الخلافة الأموية، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، بيروت، لبنان، 2018، ص34.

³ Michel Drancourt and Didier Raoult, p.p263-264.

⁴ أحمد العدوي: المرجع نفسه، ص35.

⁵ جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ): ما رواه الواعون في أخبار الطاعون، نسخة مصورة عن مخطوطة، رقم 1544، من موقع يوسف زيدان للتراث والمخطوطات www.zeiden.com، ص 166أ.

⁶ السيوطي: رسالة في مرض الطاعون، تحقيق: إياد عبد الحسين صيهود الخفاجي، عمار محمد يونس الساعدي، جامعة كربلاء، كلية التربية، قسم التاريخ، العراق، (د.س)، ص37.

⁷ أخرجه البخاري: كتاب أبواب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، رقم الحديث 1781، ج2، ص664-665.

بلال: "اللهم العن شيبه بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأميه بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء"، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مديننا وصححها لنا وانقل حُمَاهَا إلى الجحفة"¹.

إن هذه الحمى كانت تصيب من بالمدينة ومن أورد عليها، فلما دعا الرسول صلى الله عليه وسلم بأن تنتقل الحمى إلى الجحفة ارتفع عن أهلها إلا القليل بمن لم يألف هواها²، ويذكر الفقيه المغربي الأبي (ت828هـ) بأن الطاعون أخص من الوباء وليس كل وباء طاعون بل العكس فكل طاعون وباء، وسمي الوباء طاعوناً لشبهته في كثرة الهلاك لذا أطلق عليه اسمه³.

ثانياً - أنواع الطواعين:

1- الطاعون الدُملي الغددي أو الخراجي:

يعد الطاعون الدُملي هو النوع الأكثر شيوعاً، يبدأ ببثرة سوداء في مكان لدغة البرغوث غالباً ما تكون متقيحة يليها تضخم في الغدد اللمفاوية بالإبطيين أو الأربية (أصل الفخذ) ذو العنق تبعاً لمكان اللدغة ثم نزيف تحت الجلد يقضي إلى بقع أرجوانية تدعى خرايج⁴، ويخرج معه تلهب شديد مؤلم جداً، وبعض الأمور التي تنتج

¹ نفسه: باب كراهية النبي صلى الله عليه وسلم أن تغزى المدينة، رقم الحديث 1790، ج2، ص667.

² أحمد بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض، السعودية، (د.س)، ص.ص 103-104.

³ أبي عبد الله بن خليفة الوشتاني الأبي (ت827هـ): إكمال إكمال المعلم، دار السعادة، مصر، 1328هـ، ج6، ص.ص 30-31، ابن حجر العسقلاني، ص104.

⁴ روبرت. س جوتفريد: الموت الأسود جائحة طبيعية وبشرية في عالم العصور الوسطى، ترجمة وتقديم: أبو أدهم عبادة كحيلة، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، مصر، 2017، ص33.

عنه الاضطرابات النفسية والعصبية¹ وارتفاع درجة الحرارة وبسرعة إلى (40)° وصاب المريض بالإمساك، أما الإسهال فعلامة خطيرة وإنذار بالموت² والطاعون الدّملي هو الأقل سمية بين سائر الطواعين³.

2- الطاعون الرئوي:

وهذا النوع ذكره ابن خلدون، حيث قال: "فإذا كان الفساد قويا -الهواء- وقع المرض في الرئة، وهذه هي الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة"⁴. والطاعون الرئوي من أكثر أنواع الطاعون خطورة لسهولة انتقاله وانتشاره بين المخالطين للمريض خاصة في الظروف المناخية والبيئية غير الصحيحة، فينتقل عن طريق فضلات الشخص المريض إلى السليم⁵، أو عن طريق البكتيريا مع رذاذ السعال بواسطة الهواء، فتحدث إصابة شديدة في رئتي الشخص السليم مسببة طاعونا رئويا خطرا⁶، وقد تحدث الوفاة في ثلاثة أيام أو أربعة⁷.

3- الطاعون الدموي التسممي العفني:

¹ ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ج1، ص58.

² ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، (خاص بالمحقق) ص23.

³ روبرت.س.جوتفريد: المرجع نفسه، ص34.

⁴ عبد الرحمان بن خلدون(ت808هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج1، 1431هـ/2001م، ص376.

⁵ أحمد عبد الرزاق جبر: الطاعون الخطر القادم، جامعة المنصورة، كلية الزراعة، قسم إنتاج الحيوان، مصر، 2009م، ص7.

⁶ جليل أبو الحب: الحشرات الناقلة للأمراض، عالم المعرفة، الكويت، 1982م، ص63.

⁷ ابن حجر العسقلاني: المصدر نفسه، (خاص بالمحقق)، ص24.

يشبه في نشأته الطاعون الدُملي¹، وهو انتقال البراغيث من الجرذان المصابة أو الميتة إلى الإنسان تنتشر وتتكاثر بكتيريا الطاعون بسرعة مسببة الطاعون الدموي، وهو سريع القتل²، وهو تعفن الدم وفساده، فيفسد العضو ويغير لون ما يليه ويؤدي إلى القلب كيفية رديئة، فيحدث القيئ والغشي، وإذا اشتدت أعراضه من انهيار للجسد وتلف الدماغ، فقد تحدث الوفاة³ خلال أربع وعشرين ساعة⁴.

ثالثا - طرق الوقاية من الطاعون:

قدّم علماء العصر الوسيط عدة طرق للوقاية من الطاعون، وأما عن مدى تطبيقها فهو يختلف من مكان إلى آخر ومن زمن إلى آخر.

1- الحجر الصحي:

يعتبر الحجر الصحي من أهم الوسائل للحد من انتشار الأمراض الوبائية في العصر الحاضر وبموجبه يمنع أي شخص من دخول المناطق التي انتشر فيها الوباء والاختلاط بأهلها وكذلك يمنع أهل تلك المناطق من الخروج منها سواء أكان الشخص مصابا بهذا الوباء أم لا.

وبين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم في عدد من الأحاديث مبادئ الحجر الصحي بأوضح بيان⁵، فعن عبد الرحمان بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله

¹ روبرت.س.جوتفريد: المرجع السابق، ص34.

² جليل أبو الحب: المرجع السابق، ص63.

³ ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، (خاص بالمحقق)، ص24.

⁴ ابن سينا: المصدر السابق، ج3، ص164.

⁵ يوسف الحاج أحمد: المرجع السابق، ص607.

عليه وسلم: "إذا سمعتم به في أرضٍ فلا تقدموا عليه -الطاعون- وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه"¹.

عن عائشة "رضي الله عنها" قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تغنى أمتي إلا بالطعن² والطاعون"، قلت: يا رسول الله هذا الطعن عرفناه فما الطاعون، قال: "غدة كغدة البعير³ المقيم بها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف"⁴.

يتجلى الإعجاز النبوي في هذه الأحاديث في منع الأشخاص من الدخول إلى الأرض الوبيئة أمر واضح ومفهوم، ولكن منع من كان في البلدة المصابة بالوباء من الخروج منها حتى وإن كان صحيحا معافى أمر غير واضح العلة⁶، فقد توصل الطب اليوم إلى معرفة أن الشخص السليم في منطقة الوباء قد يكون حاملا للميكروب، فكثيرا من الأوبئة تصيب العديد من الناس وتتدخل أجسامهم الميكروبات دون أن تظهر عليهم آثار المرض، ويبدو في صحة جيدة، ومع ذلك ينقل المرض إلى الأصحاء⁷.

¹ أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، رقم الحديث، 5398، ج5، ص.ص2164-2165.

² الطعن: القتل بالرمح (ابن منظور: المصدر السابق، مج4، ص2677).

³ غدة البعير: الطاعون الذي يصيب الإبل (ابن منظور: المصدر نفسه، مج5، ص3216).

⁴ الفار من الزحف: هو الفرار ساعة المعركة، وهذا من الجبن والخوف، وهذا إضعاف لموقف الجيش المسلم وإعزاز للجيش الكافر، وأعداه الرسول صلى الله عليه وسلم من الكبائر السبع (محمد بن صالح بن عثيمين: من الكبائر الفرار من الزحف، فيديو من الانترنت، قناة المجد، موقع كن داعيا، نشر 11 جوان 2015 جوان، واطلع عليه 5مارس 2020، سا35:20).

⁵ أخرجه أحمد في مسنده تنمة مسند عائشة، رقم الحديث25118، أحمد بن حنبل (ت241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1421هـ/2001م، ج42، ص53.

⁶ يوسف الحاج أحمد: المرجع السابق، ص608.

⁷ عمر محمود عبد الله: المرجع السابق، ص78.

وهذا ما يمكننا إسقاطه على ما يقع في زماننا هذا مع وباء كورونا (كوفيد19)¹ سريع الانتشار، الذي ينتقل عبر أشخاص حاملين الميكروب دون أن تظهر أعراض المرض عليهم فينتقل المرض إلى أصحاب الناس، فسبحان الله لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾².

ففي النهي عن الدخول إلى الأرض الوبيئة أمر بالحذر والحماية والنهي عن التعرض لأسباب التلف، وفي النهي عن الفرار من هذه الأرض الأمر بالتوكل والتسليم والتفويض، فالأول تأديب وتعليم، والثاني تفويض وتسليم³.

وخلال بحثنا هذا وجدنا أن ابن قيم الجوزية هو الوحيد الذي صرح بفكرة الحجر الصحي الذي وجهنا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى الرغم من أننا التمسنا بعض الإشارات غير المباشرة عند كل من ابن عذاري المراكشي (ت712هـ) وابن خاتمة (ت770هـ) وابن الخطيب (ت776هـ) حيث يروي لنا ابن عذاري في وباء (571هـ/1175م) أن أحد الشيوخ قدم من قرطبة قاصدا مراكش فوافته المنية وهو بالطريق، فلما سمع الناس هذا الخبر جعلهم هذا لا يدخلون إليها -مراكش- ولا يخرجون منها، ومن خرج منها توفي بالطريق⁴.

¹ كوفيد 19: مرض معد سببه آخر فيروس تم اكتشافه من سلالة فيروسات كورونا ولم يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس ومرضه قبل تفشيه في مدينة ووهان الصينية في ديسمبر 2019م، وقد تحول إلى جائحة تؤثر على العديد من بلدان العالم ومن أعراضه الحمى والإرهاق والسعال الجاف وفقدان حاسة الشم والذوق (مرض فيروس كورونا (كوفيد19) سؤال وجواب، منظمة الصحة العالمية، 2020/08/05م، سا08:25).

² سورة النجم، الآية 3-4.

³ ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ج1، ص67.

⁴ أبي العباس أحمد بن محمد بن عذاري (ت712هـ): البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ط1، تحقيق: بشار عواد معروف، محمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1434هـ/2013م، مج3، ص238.

وبالنسبة لابن خاتمة (ت770هـ) حين أشار إلى الحركة والسكون عندما قال فالأصح الميل إلى السكون وإذا احتيج إلى الحركة فلتكن معتدلة¹: "وابن الخطيب (ت776هـ) حين تحدث عن الزاهد ابن أبي مدين² بمدينة سلا المغربية الذي بنى باب منزله على أهله وهو كثيرون وفنيت المدينة، ولم يُرزأ نسمة واحدة بطول تلك المدة³.

2- العزل:

أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بعزل المصابين⁴، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا توردوا الممرض على المصح"⁵.

وأمرنا أيضا صلى الله عليه وسلم بعدم مجاورة الأصحاء للمرضى لكي لا يحصل لهم نفس جنس أمراضهم⁶، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن من القرف⁷ التلف⁸".

¹ ابن خاتمة: المصدر السابق، ص162.

² يقصد ابن الخطيب هنا الزاهد محمد بن عبد الله بن أبي مدين شعيب العثماني، المكنى بأبي الحسن (من أهل القرن 8هـ) وهو من بيت أبي مدين، ولد بقصر كتامة، ونشأ بمكناسة الزيتون، وكان كاتباً لملوك بني مرين (أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر (ت807هـ): نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، ص.ص255-256.

³ ابن الخطيب: مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، ص73.

⁴ ابن قيم الجوزية: المصدر السابق، ج5، ص626.

⁵ أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب لا عدوى، رقم الحديث5439، ج5، ص.ص2177-2178.

⁶ ابن قيم الجوزية: المصدر نفسه، ج1، ص67.

⁷ القرف: العدوى (ابن منظور، مج5، ص3600).

⁸ التلف: الهلاك والعطب في كل شئ (ابن منظور، مج2، ص440).

⁹ أخرجه أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت275هـ)، ضبط وتخريج: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره يليلي، 1430هـ/2009م، دمشق، سوريا، ج6، ص.ص66-67.

وقد أورد الإمام مسلم في صحيحه أن وفدا من ثقيف جاء ليباع الرسول وكان فيهم رجلا مصابا بمرض الجذام¹، فلم يدخله الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مجلسه فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم: "إنا قد بايعناك فارجع"².

3- الطاعون بين الوقاية والعلاج عند أطباء العصر الوسيط:

تداول الأطباء القول بثلاث أمور ليس للطبيب فيها حيلة الحماسة والطاعون والهزم، لذلك سلم معظمهم بأن الطاعون ليس ذلك المرض الذي يمكن علاجه بالأدوية والعقاقير، فذهب جهدهم إلى طرائق الوقاية فحسب، فتناولوا قولا مأثورا عن الإمام الشافعي³: "لم أر أنفع للوباء من البنفسج⁴ يدهن به ويشرب"⁵، ولأجل الوقاية عند انتشار الوباء نُصح الناس بشراب الطيب وأكل لحم الجمل مشويا⁶ وأكل الأطعمة سريعة الهضم ونصحوهم بأكل القرع كما نصحوهم بكثرة الذهاب إلى الحمام ورش البيت بالخل والمداومة على الفصد⁷ وحذروهم من كثرة الجماع والنوم ومن الأطعمة

¹ الجذام: مرض جلدي معد مزمن يصيب الأطراف (اليدين والقدمين) وتتآكل شيئا فشيئا ويتغير لون الجلد ويضعف إحساس الأعصاب التي تصاب بالخدر وبالذات في الوجه والأنامل، وتظهر درنات الوجه وتقرح وتتقيح الأصابع ثم تنبعث منها رائحة كريهة، ثم تتساقط تلك الأطراف (عمر محمود عبد الله: مرجع سابق، ص74).

² أخرجه مسلم: في صحيحه، كتاب السلام، باب اجتناب المجذوم ونحوه، رقم الحديث 2231، أبي الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت261هـ)، ضبط وتخريج: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1412هـ/1991م، ج4، ص1752.

³ أحمد العدوي: المرجع السابق، ص.ص 47-48.

⁴ البنفسج: زهر بنفسجي اللون برئ وتزيني محمر، خماسي التبلات، ذكر ابن سينا أنه يسكن الصداع الدموي (محمد حسن في تحقيقه لثلاث رسائل أندلسية، ص310).

⁵ عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل بن الحسن القزويني أبي القاسم الرافعي الشافعي (ت623هـ): شرح مسند الشافعي، تحقيق: أبو بكر وائل محمد بكر زهران، ط1، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1428هـ، 2007م، مج1، ص19.

⁶ أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي (ت383هـ): مفيد العلوم ومبيد الهموم، طبعة السيد محمد هاشم الكتبي، دمشق، سوريا، 1323هـ/1906م، ص387.

⁷ الفصد: إخراج الدم الفاسد بالتشريط (أحمد العدوي، المرجع السابق، ص48).

الرطوبة ومن الامتلاء عند الأكل والشرب¹، كما نصحوهم باستعمال الطيوب الباردة الرياحين² في المجالس³.

أما بالنسبة للطاعون فقد قسم كل من ابن خاتمة (ت770هـ/1369م) وابن الخطيب (ت776هـ/1375م) علاج الطاعون إلى قسمين إلى كيفية الاحتراز منه وعلاجه إذا استحكم المرض.

أ- في الاحتراز منه:

* إصلاح الهواء: باتخاذ البيوت الشمالية وفرشها بالرياحين الباردة.

* الحركة والسكون: فالأصح الميل إلى السكون وإذا احتيج إلى الحركة فلتكن معتدلة.

* الأطعمة والأشربة⁴: الخبز من القمح النقي معتدلا في الملح والخمير ويعجن بالقليل من الخل الطيب مع الماء، وأما اللحم فلا بد منه دون الإكثار وأفضله الطير كالدجاج والحجل المخلل⁵ وتناول العدس على أنه أمان من الطاعون على حد تعبير الرازي⁶ والقرع والخس وأصلح الفواكه كالكمثري والرمان وخصوصا الحامض والمر

¹ أبي بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب (ت313هـ): الحاوي في الطب، تحقيق: هيثم خليفة طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.س)، مج4، ج15، ص428.

² الرياحين: هي كل نبات طيب الرائحة، ويطلق على زهرة الأس في بلاد المغرب (محمد حسن في تحقيقه ثلاث رسائل، ص314).

³ ابن الخطيب: مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، ص66.

⁴ ابن خاتمة: المصدر السابق، ص. ص160-162.

⁵ الشقوري: المصدر السابق، ص260.

⁶ الرازي: المصدر نفسه، مج4، ج15، ص428.

والإجاص والعنب الأبيض وبخاصة ما لم تكتمل حلاوته¹، أما الشرب فالماء البارد بقليل خل فيه².

*النوم واليقظة: فأصح النوم ما كان ليلا على المعتاد من غير زيادة.

*الاستفراغ والاحتقان³: وهو استفراغ المادة الزائدة⁴ كشراب السكنجبين⁵ بالماء

السخن لتنظيف المعدة، وتخفيف الدم بشق العروق والحجامة.

*الأمراض النفسانية: فيجب التعرض للمسرات والأفراح وبسط النفس وإشراح

الصدر⁶.

*اجتتاب مظان الفساد من المريض والميت أو التقرب من ثوبه أو آنيته أو آتته

أو سكنى محله أو مجاورة بيته⁷.

ب- علاجه إذا استحك المرض:

أما علاجه فقد استعصى عن الأطباء كما ذكر سابقا، حيث يقول ابن خاتمة:

اعلم أن علاج هذا المرض بعد تمكنه واستحكامه قليل الجدوى في الغالب لكن مما

ينتفع به شفاء بعض الناس ممن كان مرضه ليس بالشديد إن شاء الله، كأن يسقى

المريض بشراب التفاح ممزوجا بشراب السكنجبين، أو اجاص أربع أواقي مع عناب أو

أوقيتان يطبخ الجميع في رطل ونصف رطل من الماء حتى يبقى الثلث فيصفي

¹ ابن خاتمة: المصدر السابق، ص164.

² الشقوري: المصدر السابق، ص161.

³ ابن خاتمة: المصدر نفسه، ص164.

⁴ ابن الخطيب: مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، ص66.

⁵ السكنجبين: معرب عن سركا أنكبين الفارسيين ومعناه خل وعسل وهو شراب يتخذ من الخل والعسل (محمد حسن في تحقيقه ثلاث رسائل، ص330).

⁶ ابن خاتمة: المصدر نفسه، ص168.

⁷ ابن الخطيب: المصدر نفسه، ص.ص 66-67.

ويمرس في أوقية ونصف من التمر الهندي وأوقية من السكر ويشرب فاترا على الريق أو خلاء المعدة، مع استعمال الفصد¹.

كما كانوا يقدمون نبات الريباس² وكان هذا الأخير ينبت في رؤوس الجبال، فكان يهدئ من حدة الألم وحدة الحمى كما استخدموا مرهما³ لدهن الورم كان يدعى مرهم الزنجار⁴، وكان يصنع من الزنجار والشمع⁵ والراتينج⁶ وعلك السنوبر⁷.

رابعا: الطاعون في مدونة الحديث النبوي الشريف:

أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث نبوية شريفة تناولت وباء الطاعون، فمنها من يعرف فيها هذا الوباء (1-2-3-4)، وأخرى ذكر فيها أحكاما شرعية بخصوص هذا المرض -أجر الصابر عليه وجزاء الفار منه- وذلك للحفاظ على سلامة وصحة الأبدان (2-3-4-5-6-7)، وأخرى فيها إشارة للتفريق بين الوباء والطاعون (8-9)، كما بين لنا أن الوباء لا يأتي إلا إذا عمت الفاحشة وجُهر

¹ ابن خاتمة: المصدر السابق، ص.ص 179-186.

² الرازي: المصدر السابق، مج 6، ج 20، ص 179.

³ المرهم: من أقدم التراكيب وأصلها من الشمع ثم أضيف لها الصمغ والشحوم والزيوت وغيرها من المواد الطبية المطلوبة يعالج بها القروح والجروح والأمراض الجلدية (محمد كامل حسين: الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، طبع عن نفقة حكومة الجمهورية العربية الليبية، ج 2، ص.ص 380-381).

⁴ الزنجار: يتولد في معادن النحاس وهو أجود، وقد يكون مصنوعا (مجهول: تحفة الأحاباب في ماهية النبات والأعشاب، مطبوعات معهد العلوم المغربية، مكتبة بول فطنير باريس، فرنسا، 1943، ج 24، ص 17).

⁵ الشمع: مادة رخوة تتكون من خليط أغلبه دهني، وهي قصبتان تتوسطها فتائل، وتتخذ من شمع النحل أو من مادة دهنية توقد ليستضاء بها، وأهل المغرب يسمونه قيرا (محمد حسن في تحقيقه لثلاث رسائل أندلسية، ص 328).

⁶ الراتينج: مركب عضوي لزج القوام أو سائل يتعرض عند تصلبه للهواء، ويفرز في كثير من النباتات السامة وغير السامة) مجموعة مؤلفين: "مصطلحات علمية"، مجلة فصلية، (مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية)، ع 115، 1436هـ/2015م، ص 53.

⁷ أحمد العدوي: المرجع السابق، ص 48.

بها (10)، وهذا ما سيظهر جليا في مجموعة من الأحاديث التي سنوردها بخصوص هذا الموضوع:

1- عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فقال: "كان عذابا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابرا يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان من أجر الشهيد"¹.

2- عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني اسرائيل أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم به في أرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه"².

3- عن معاذة بنت عبد الله العدوية قالت دخلت على عائشة، فقالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تفنى أمتي إلا بالطعن والطاعون"، قلت يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه، فما الطاعون؟، قال: " غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفرار منها كالفرار من الزحف"³.

4- عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فناء أمتي بالطعن والطاعون"، فقيل يا رسول الله هذا الطعن عرفناه فما الطاعون، قال: "وخز⁴ أعدائكم من الجن وفي كل شهادة"⁵.

¹ أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب أجر الصابر في الطاعون، رقم الحديث 5402، ج5، ص2165.

² أخرجه مالك: كتاب الجامع، باب ما جاء في الطاعون، رقم الحديث 2612، مج2، ص475

³ أخرجه أحمد بن حبل: تنمة مسند عائشة، رقم الحديث 25118، ج42، ص53.

⁴ الوخز: بفتح الواو وسكون الخاء وبعدها زاي، وهو الطعن (ابن منظور: المصدر السابق، مج6، ص4789).

⁵ أخرجه الألباني: في صحيح الترغيب والترهيب، كتاب الجهاد، باب الترهيب أن يموت الإنسان ولم يغز ولم ينو الغزو وذكر أنواع من الموت تلحق أربابها بالشهداء والترهيب من الفرار من الطاعون، رقم الحديث 1403، =

5- عن أبي هريرة "رضي الله عنه" قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الشهداء خمسة المطعون والمبطون¹ والغريق وصاحب الهدم² والشهيد في سبيل الله"³.

6- عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الطاعون شهادة لكل مسلم"⁴.

7- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما تعدون الشهيد فيكم" قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: "إن شهداء أمتي إذا لقليل"، قالوا: فمن هم يا رسول الله، قال: "من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ومن مات في البطن فهو شهيد"⁵.

8- عن أبي هريرة "رضي الله عنه" قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال"⁶.

9- عن أبي عُسَيْب رضي الله عنه "مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتاني جبرائيل عليه السلام بالحمى والطاعون

=محمد ناصر الدين الألباني (ت1420هـ)، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1421هـ/2000م، ج2، 155.

¹ المبطون: الذي يموت بمرض في بطنه (ابن منظور، مج1، ص303).

² صاحب الهدم: من يموت تحت الهدم (محمد بن عبد الله القناص: معنى حديث الشهداء خمسة، موقع الفتاوى، نشر 10 مارس 2004، اطلع عليه 13 مارس 2020).

³ أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء، رقم الحديث 1914، ج3، ص1521.

⁴ أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الشهادة سبع سوى القتل، رقم الحديث 2675، ج2، ص1041.

⁵ أخرجه مسلم: المصدر نفسه، كتاب الإمارة، رقم الحديث 1915، ص1521.

⁶ أخرجه البخاري: كتاب أبواب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، رقم الحديث 1781، ج2، صص664-665.

فأمسكت بالحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام فالطاعون شهادة لأمتي ورجز على الكافر"1.

10- عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا"2.

خامسا- طاعون عمواس (18هـ/639م) أشهر الطواعين في الإسلام:

عرف العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط ظهور عدة طواعين في أعوام متفرقة وأقاليم مختلفة مشرقا ومغربا ونظرا لكثرتها فقد يصعب علينا ذكرها جميعا لذا ارتأينا بذكر بعض الأمثلة كالطاعون الجارف الذي وقع بالبصرة سنة (69هـ/688م) فكثر الموت حتى جعل أهل الدار يموتون عن آخرهم ولا يجدون من يدفنهم³، وقد عرف هذا الطاعون عند المؤرخين باسم طاعون ابن الزبير⁴، ومن أشهر الطواعين أيضا طاعون الفتيات (87هـ/706م) لكثرة من مات من النساء الشواب⁵، ويلاحظ القارئ أن هذه الطواعين ظهرت في بلاد المشرق وهذا يرجع ربما إلى أن المغاربة كانوا

¹ أخرجه المنذري: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، فصل الترهب من أن يموت الإنسان ولم يغزو ولم ينو الغزو وذكر أنواع من الموت تلحق أربابها بالشهداء والترهب من الفرار من الطاعون، كتاب الجهاد، رقم الحديث 16، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت656هـ)، ضبط وتخريج: إبراهيم شمس الدين، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ج2، ص220.

² أخرجه ابن ماجه: في سننه، كتاب الفتن، باب العقوبات، رقم الحديث4019، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (ت273هـ)، ضبط وتخريج: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، (د.س.)، ج2، ص.ص 1332-1333.

³ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت279هـ): كتاب جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، رياض زركلي، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1417هـ/1996م، ج6، ص81.

⁴ أحمد العدوي: المرجع السابق، ص74.

⁵ ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ص363.

لا يفرقون بين الطاعون والوباء إلى حدود النصف الثاني من القرن 8هـ و14م، وهذا ما أجمع عليه الكثير من المؤرخين، ودليل ذلك قول المؤرخ المغربي ابن عذاري المراكشي (ت712هـ/1312م) على ما وقع بمراكش سنة 571هـ حيث قال: نزل الوباء والطاعون بمراكش ولم يعهد مثله فيما تقدم من الأزمنة قبله، انتهى عدد الأموات في كل يوم إلى مائة وتسعين شخصا وأكثر من ذلك حتى إن الناس لا يستطيعون حملهم إلى الجامع للصلاة عليهم، فأمر الخليفة أن يصلى عليهم في سائر المساجد رفقا بالناس في ذلك¹.

ولعل أشهر الطواعين التي ظهرت في تاريخ المسلمين ذلك الطاعون الأول الذي ضرب مدينة عمواس الفلسطينية²، وقد وقع اختيارنا بالحديث عن هذا الطاعون نظرا إلى أنه هو الطاعون الأول في بلاد المسلمين وهو الأشهر وضحاياه كانوا صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم.

لقد كان طاعون عمواس نكبة على المسلمين³ سنة (18هـ/639م)⁴، والظاهر أن هذا الطاعون نشب عقب الحروب التي حدثت في الشام من كثرة القتلى الذين تُرِكُوا في ميادين القتال من غير أن يدفنوا، فالمسلون كانوا يدفنون موتاهم كما يأمرهم بذلك

¹ ابن عذاري: المصدر السابق، ص237.

² عمواس: كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس، ومنها كان ابتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم فشا في أرض الشام (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، دار صادر: بيروت، لبنان، 1397هـ/1977م، مج4، ص157).

³ محمد رضا: موسوعة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين -الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه (2)-، ط1، نوبليس انترناشيونال، بيروت، لبنان، 2011م، مج8، ص66.

⁴ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي الشهير بابن كثير (ت774هـ): البداية والنهاية، تحقيق: حسان عبد الله المنان، بيت الأفكار الدولية، بيروت، لبنان، 2004، ج1، ص1068.

دينهم، أما الجيوش المنهزمة فلا يتمكنون عادة من دفن قتلاهم لذلك بقيت جثث الروم كما بقيت جثث الفرس في العراق لذلك أصاب الطاعون العراق ثم الشام¹.

ففي سنة (17هـ/638م)² خرج عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" إلى الشام³ ومعه المهاجرون والأنصار⁴ حتى إذا بلغ بسرغ⁵ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد دخل أرض الشام⁶، فجمع عمر المهاجرين والأنصار فاستشارهم على الدخول إلى الشام أم العودة فاختلفوا عليه، فمنهم القائل خرجت لوجه الله فلا يصدك عنه هذا، ومنهم القائل أنه بلاء وفناء فلا نرى أن تقدم عليه فقال لهم: قوموا عني⁷ ثم طلب إحضار مهاجرة الفتح -قريش الذين هاجروا إلى المدينة عام الفتح- ليستشيرهم ولما حضروا لم يختلفوا في رأيهم وأشاروا إلى الرجوع فقال عمر: إني مصبح على ظهر -مسافر في الصباح- فأصبحوا عليه⁸ فقال أبو عبيدة بن الجراح: يا أمير المؤمنين أفرار من قدر الله؟ فقال له عمر: فرار من قدر الله إلى قدر الله وبينما عمر وأبو عبيدة في حديثهما جاء عبد الرحمان بن عوف فسأل عن الخبر فذكروا له الأمر⁹، فقال: إن عندي في هذا علما سمعت رسول الله

¹ محمد رضا: المرجع السابق، ص66.

² أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ): تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1970م، ج4، ص57.

³ البخاري، ج5، ص2164.

⁴ الطبري: المصدر نفسه، ص57.

⁵ بسرغ: قرية في طريق الشام مما يلي الحجاز (البخاري، ج5، ص2164، خاص بالمحقق)

⁶ البخاري: نفسه، ص2164.

⁷ أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين (ت630هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، مج2، ص400.

⁸ الطبري: المصدر نفسه، ص57.

⁹ أحمد عبد الجواد الدومي: أبو عبيدة بن الجراح، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، (د.س)، صص

صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه"، فقال عمر الحمد لله وبعدها انصرف¹ ورجع عمر بن الخطاب إلى المدينة وبقي أبو عبيدة مع جند المسلمين في الشام²، فلما مات أبو عبيدة بن الجراح واستخلف عمر بن العاص قام خاطبا في الناس فقال: أيها الناس إن هذا الوجع إذا وقع، وإنما يشتعل اشتعال النار فتجبلوا منه في الجبال فخرج بالناس إلى الجبال ورفع الله عنهم ولما سمع عمر بن الخطاب لم يكره ذلك، وقد توفي بطاعون عمواس خمسة وعشون ألفا³، وهناك من يقول ست وعشرون ألفا⁴.

¹ البخاري: المصدر السابق، ج5، 2164.

² أحمد عبد الجواد الدومي: المرجع السابق، ص104.

³ ابن الأثير: المصدر السابق، ص.ص 400-401.

⁴ عبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي (ت238هـ): كتاب التاريخ، تحقيق: عبد الغني مستو، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1429هـ/2008م، ص111.

*الصحابة الذين وافتهم المنية بطاعون عمواس:

الصحابي	نسبه	جهوده	مصدر المعلومة
أبو عبيدة بن الجراح	هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن الهلال بن أهيب بن ضبنة بن الحارث بن فهر القرشي، توفي وعمره ثمان وخمسون سنة	كان رجلا صالحا له أثر عظيم في تاريخ الفتح الإسلامي خاصة في فتح بلاد الشام، كان أمير أمراء الشام، وقد نزلت فيه الآية 22 من سورة المجادلة بعد أن قَتَلَ والده في غزوة بدر، قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَائَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وقال فيه الرسول صلى الله عليه و سلم: "إن لكل أمة أمينا وإن أمينا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح.	*سورة المجادلة، الآية 22. *أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، رقم الحديث 3534، ج3، ص1369. *أحمد عبد الجواد الدومي (ص8.ص106). *محمد رضا، ج2، ص.ص 67-68. *الذهبي (748هـ): العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.س)، ج1، ص16.

<p>*أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب معاذ بن جبل رضي الله عنه، رقم الحديث 3595، ج3، ص1385.</p> <p>*الذهبي: العبر في خبر من غير، ج1، ص17.</p> <p>*ابن الأثير (ت630هـ) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1433هـ/2012م، ص.ص1139-1140.</p>	<p>كان من نجباء الصحابة أسلم وعمره ثمان عشر سنة شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم جل المعارك وكان من المفتيين في عهد الرسول وقد قال فيه الرسول: "استقرئوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبي ومعاذ بن جبل".</p>	<p>هو معاذ بن جبل بن عمر بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمر بن أدي بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي توفي وعمره بين أربع وثلاثون سنة وثمان وثلاثون سنة.</p>	<p>معاذ بن جبل</p>
<p>*الذهبي: العبر في خبر من غير، ج1، ص17.</p> <p>*محمد، رضا، ج2، ص.ص72-73.</p> <p>*أسد الغابة في معرفة الصحابة.</p>	<p>أسلم يوم فتح مكة وشهد حنين، أفاضل الصحابة وهو أحد الأمراء الذين استعملهم الصديق على غزو الشام، وُلِّيَ يزيد على فلسطين واستعمله الرسول على صدقات بني فراس وكان يقال له يزيد الخير.</p>	<p>صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي أخو معاوية.</p>	<p>يزيد بن أبي سفيان</p>

<p>*أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص546. *أبي نعيم الأصبهاني(ت430هـ): معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، السعودية،(د.س)،ص1464 * محمد رضا، ج2، ص73-74.</p>	<p>كان من السابقين للإسلام كان من مهاجرين الحبشة يكنى عبد الله ذو الهجرتين (هجرة الحبشة والمدينة) كان واليا على بعض نواحي الشام.</p>	<p>حسنة أمه هو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن عبد الله الغظريف قيل من تميم وقيل من كندة، توفي وعمره سبعة وستين وتوفي مع عبيدة بن الجراح في يوم واحد.</p>	<p>شرحبيل بن حسنة</p>
---	--	---	-----------------------

الفصل الثاني:

الطاعون في المدونة الإسلامية الوسيطة

أولاً: مسائل حول الطاعون: بين الطبيب والفقير.

ثانياً: أدعية قيلت زمن الطاعون.

ثالثاً: الطاعون في الأصول المغربية.

رابعاً: أبيات شعرية نظمت أيام الطاعون الأسود.

أولاً- مسائل حول الطاعون بين الطبيب والفقهاء:

بالنظر إلى المصادر التاريخية التي تناولت الطاعون، وبالتحديد طاعون منتصف القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، فإننا نجد أنها قد اتفقت على النهاية الحتمية للمطعون، لكن الإشكال المطروح هو حول أسباب الطاعون ومسألة العدوى، فقد حدث جدال واسع بين الفقهاء والطبيب هذا الأخير الذي رد سبب الطاعون إلى فساد الهواء والإقرار بوجود العدوى، فرد عليه الفقيه لو أن سبب الطاعون فساد الهواء فلما يقع في أعدل الفصول وفي أصح البلاد هواءً وأطيبها ماءً، ولو كان حقا الهواء لعم الناس والحيوان، فالمشاهد يرى بأنه يأخذ أهل بيت من بلد بأكملهم ولا يدخل بيتا آخر رغم المجاورة بل إنه يدخل البيت الواحد ويصيب إلا البعض من أفرادهم¹، فالطاعون سببه وخز من الجن وهذا ما ورد في الحديث عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فناء أمتي بالطعن والطاعون" فقليل يا رسول الله هذا الطعن عرفناه فما الطاعون قال: "وخز² أعدائكم من الجن وفي كل شهادة"³، ولا وجود أيضا للعدوى وهذا أيضا وارد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا عدوى"⁴، فرد الطبيب فلما يقع أحيانا في شهر رمضان حيث الجن والشياطين مصفدة في أغلالها⁵ والمشاهدة والتجربة كخير

¹ ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ص105.

² وخز: بفتح الواو وسكون الخاء وبعدها زاي وهو الطعن (ابن منظور، مج6، ص4789).

³ أخرجه الألباني: في صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث 1403، ج2، ص155.

⁴ أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب لا عدوى، ج5، ص2178.

⁵ أحمد العدوي: المرجع السابق، ص145.

دليل على وجود العدوى¹، فقد نَعَتَ الفقيه المغربي الرصاع (ت894هـ) الأطباء بالجاهلية والعقول الطبية²، كما نَعَتَ ابن الخطيب بعض الفقهاء بالأزارقة من الخوارج³، ومن الأطباء والفقهاء الذين شاركوا في هذا الجدل نذكر:

أ- الأطباء:

* ابن خاتمة (؟/هـ/م) (1369م/770هـ):

أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة، أبو جعفر الأنصاري الأندلسي، طبيب ومؤرخ⁴ كان ناظماً وناثراً وشاعراً بليغاً تصدر للإقراء بالجامع الأعظم بالمرية، توفي في السابع من شعبان عام سبعين وسبعمائة على نحو ستين سنة⁵.

* ابن الخطيب (713هـ/1313م-776هـ/1375م):

محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، قرطبي الأصل، يكنى أبا عبد الله والملقب عند المشاركة بلسان الدين⁶، ويعد من أعلام الفكر والأدب وأقطاب السياسة والدولة في الأندلس الإسلامية، ومؤلفاته في الأدب والتاريخ والتراجم والسير والتصوف معروفة ومشهورة وبعض أشعاره في محفوظات

¹ ابن الخطيب: مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، ص72.

² محمد المواق (ت897هـ) محمد الرصاع (ت894هـ): الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية، تحقيق: محمد حسن، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007م، ص149.

³ ابن الخطيب: المصدر نفسه، ص74.

⁴ خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (د.س.)، ج1، ص176.

⁵ أحمد بابا التتبيكتي(1036هـ): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، 2000م، ص101.

⁶ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1397هـ/1977م، مج4، ص439.

الناس¹، يخبرنا ابن الخطيب في ترجمته على نفسه حيث يقول: وأخذت الطب والتعاليم وصناعة التعديل عن الإمام أبي زكريا بن هذيل² ولازمته على سبيل الإمام، ومن بين مؤلفاته الطبية رسالة الطاعون -مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل-، والمسائل الطبية، الرجز في عمل الترياق، اليوسفي في الطب، البيطرة، رسالة تكوين الجنين، الوصول لحفظ الصحة في الفصول، رجز الطب رجز الأغذية³.

*محمد الشقوري (727هـ/1327م/ت بعد 776هـ/1375م):

محمد بن علي بن عبد الله اللّخمي يكنى بأبي عبد الله ويعرف بالشقوري نسبة إلى قرية⁴ شقورة⁵، وقد مارس مهنة الطب وهو في سن المراهقة كان مجتهدا في عمله ودينه وتجارته، وقد دفعوا به إلى الشهرة، وقد استدعاه السلطان لعلاجه وأثنى عليه هذا الأخير⁶، ومن مؤلفاته: تحفة المتوسل وراحة المتأمل وقد عني فيها المؤلف بالعلل التي تصيب المعدة وضروب الإسهال وطريقة معالجة ذلك والوقاية منه، وفي مطلع هذا الكتاب نبذة تتعلق بتشريح الجهاز الهضمي ووظائفه، ومن مؤلفاته أيضا مقالة في الطب تناولت معظم الأدوية المجربة في مختلف الأمراض، وكتاب تحقيق النبأ عن أمر الوبأ، وكتاب النصيحة بتقديم تدابير وقائية للطاعون⁷.

¹ محمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ج2، ص191.

² أبي زكرياء بن هذيل: هو يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي المكنى بأبي زكرياء أصله من أرجدونة وكان آخر حملة الفنون العقلية بالأندلس وخاتمة العلماء بها من طب وهندسة وهيئة وحساب وأصول وأدب (ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، مج4، ص390).

³ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، مج4، ص459.

⁴ نفسه، مج3، ص177.

⁵ شقورة: مدينة بالأندلس شمالي مرسية (ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج3، ص355).

⁶ ابن الخطيب: المصدر نفسه، مج3، ص178.

⁷ محمد العربي الخطابي: المرجع نفسه، ص.ص 242-243.

ب- الفقهاء:

*ابن حجر العسقلاني (773هـ/1372م/852هـ/1449م):

أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين بن حجر، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان (فلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث¹، وقد كان شافعي المذهب²، ومن بين مؤلفاته: لسان الميزان، الإحكام لبيان ما في القرآن من أحكام، تقريب التهذيب، تهذيب التهذيب، فتح الباري في شرح صحيح البخاري³، أما بالنسبة لكتابه بذل الماعون في فضل الطاعون الذي ألفه إثر موت ابنتيه بطاعون (819هـ/1417م)، وقد لخص في هذا الكتاب أسباب الطاعون وطرق الوقاية منه وذكر تفسيرات الأطباء والفلاسفة وتناول مسألة العدوى، وأورد الأحاديث النبوية التي تناولت الطاعون⁴.

*الرصاع (؟هـ / ؟م) (894هـ/1489م):

محمد بن قاسم الأنصاري، أبو عبد الله الرصاع قاضي الجماعة بتونس، ولد بتلمسان ونشأ واستقر بتونس وعاش وتوفي بها، اقتصر في أواخر أيامه على إمامة جامع الزيتونة والخطابة فيه، متصدراً للإفتاء وإقراء الفقه والعربية⁵، ومن أهم مصنفاته: تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين، شرح حدود ابن عرفة أو الهداية الكافية

¹ ابتسام ثمامة: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ص220.

² ابن حجر العسقلاني: المصدر نفسه، (خاص بالمحقق)، ص7.

³ ابتسام ثمامة: المرجع نفسه، ص221.

⁴ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر السابق، (خاص بالمحقق)، ص49.

⁵ خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج7، ص7.

الشافية لبيان حقائق ابن عرفة، الفهرست في أسماء شيوخه مروياته، الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية¹.

*السيوطي (849هـ-1445م/911هـ-1505م):

الشيخ العلامة الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمان بن كمال الدين أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد بن الشيخ الهمام الخضيرى السيوطي المصري الشافعي²، وقد تعددت مؤلفات السيوطي وشملت علوم القرآن والتفسير، وعلم الحديث والفقہ واللغة والتاريخ، ومن بين مؤلفاته: الإتيان في علوم القرآن والتفسير والتحدث بنعمة الله، الإتيان في علوم الدين، الديباج في صحيح مسلم بن الحاج، بغية الوعاة في طبقات النحاة، تاريخ الخلفاء³.

1- حول أسباب الطاعون:

1-1 عند الأطباء:

*ابن خاتمة (ت770هـ/1369م):

حسب ابن خاتمة فإن أسباب الوباء عامة وخاصة، والأسباب العامة تنقسم هي الأخرى إلى قسمين أسباب قريبة وأخرى بعيدة، فبالنسبة للأسباب القريبة هي تغير الهواء المحيط بالإنسان الذي فيه تنفسه، وهذا التغير يكون في الكيف والجوهر.

¹ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر السابق، (خاص بالمحقق)، ص.ص 35-36.

² عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيديوس (ت978هـ/1038م): النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق: أحمد حالو وآخرون، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 2001م، ص90.

³ السيوطي: التحدث بنعمة الله تعالى، تحقيق: إليزابيث ماري ساتين، المطبعة العربية الحديث، القاهرة، مصر، (د.س)، ص.ص 105-107.

كيفًا: كأن يخالط الهواء المعتدل بخارا حارا يابسا متعفنا فيغير أغراضه ومن غير أن يغير جوهره إلى الفساد.

جوهراً: كأن يخالط الهواء المعتدل بخارا حارا يابسا متعفنا حتى يغلب هذا الأخير ويغير الهواء عن كفياته ويعفنه ويحيله عن فصوله، وقد يكون هذا من مطامير الطعام القديمة الاختزان أو الآبار التي ماتت فيها الحيوانات، وإذا حدث هذا التغير حدثت الأوباء وهلك الإنسان والحيوان¹.

أما الأسباب البعيدة، فهي على ثلاث أنواع:

النوع الأول: تغير الهواء من جهة اتصال الأشعة الفلكية والأنوار السماوية والنصب العلوية، وهذا من قبل القدرة الإلهية ولم تتحصل أسبابه للبشر وذلك بأن تستمر فصول السنة الأربعة على طبيعة واحدة تقتضي للهواء والحرارة والرطوبة حتى يكثر الدم في الأبدان وتتزايد كميته كما يحدث في فصل الربيع فتكثر الأمراض العفونية لغلبة الدم وفورانه، وهذا النوع هو أعم الأسباب فسادا.

النوع الثاني: تغير الهواء من جهة الزمان وما يتعلق بكمية تساقط الأمطار وقلتها وانعدامها وهبوب الرياح وركودها وذلك أن يتغير الفصل من فصول السنة عن كفياته الطبيعية إلى ضدها مثل أن يكون الربيع باردا يابسا على طبيعة الخريف لعدم الأمطار وأن يكون الصيف شتويا لغزارة الأمطار وتكثر الحُميات الرديئة والأمراض العفونية².

¹ ابن خاتمة: المصدر السابق، ص.ص 131-133.

² نفسه، ص.ص 138-139.

النوع الثالث: تغير الهواء من جهة المكان والموضع وما يتصل به وذلك بأن ترتفع أبخرة فاسدة متعفنة من السباح¹ والبطائح² المتغيرة المياه والخنادق والأجام السرية الراكدة الهواء والنباتات والبقول المتعفنة وأقدار الناس وفضلاتهم وجيف القتلى في الملاحم والدواب التي أصابها الموتان³ وغير ذلك مما يحدث من البخارات المتعفنة فيحدث الوباء⁴.

السبب الخاص: وهو المتعلق بموضوع رسالة ابن خاتمة، وهو السبب وراء طاعون عام سبعمائة وتسع وأربعين حيث يقول: "بهذا الطاعون الحادث في هذا التاريخ الذي وقع السؤال عنه والذي يظهر لي والله أعلم أن سببه من قبيل النوع الأول، ليدعم رأيه بحجج مفادها أن فصول هذه السنة لم تخرج عن عاداتها من أمطار وهبوب الرياح، حيث إن فصول هذه السنة تتبدل فلا يظهر لانتقالها فيه أثر بل وعلى وتيرة واحدة وهذا حاصل ببلادنا ألمرية⁵ ولا فيما نُقِلَ إلينا من غيره من البلاد⁶.

*ابن الخطيب (ت776هـ/1375م):

للطاعون سببين:

1- السبب الأقصى وهو الأمور الفلكية من القرانات التي تؤثر في العالم حسبما يزعمه أرباب صناعة النجوم ويأخذ الطبيب مسلما عنهم.

¹ السباح: مفرد سبيخة وهي الأرض المالحة والسبخة ما يعلو الماء من طحلب ونحوه، ويقال قد علت هذا الماء

سبخة شديدة كأنه الطحلب من طول الترك (ابن منظور، مج3، ص1918)

² البطائح: مسيل فيه دقاق الحصى (ابن منظور، مج1، ص299).

³ الموتان: الموت الذي يقع في المال والماشية (ابن منظور، مج6، ص4296).

⁴ ابن خاتمة: المصدر السابق، ص140.

⁵ ألمرية: مدينة بالأندلس أمر ببنائها الناصر لدين الله عبد الرحمان بن محمد سنة أربع وأربعين وثلاثمائة (محمد

عبد المنعم الحميري (ت900هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان،

بيروت، 1984م، ص537)

⁶ ابن خاتمة: المصدر نفسه، ص140-141.

2-السبب الأدنى وهو فساد الهواء الخاص بمحل ظهوره ابتداء وانتقالاً¹.

*الشقوري (ت بعد 776هـ/بعد 1375م):

الطاعون سببه فساد مبعوث في الهواء المنتفس فيه، لذلك أمر الأطباء بإصلاح الهواء، ثم إنَّ هذا الفساد يقع في الأبدان ويؤثر فيها تأثيراً عظيماً، وهذا حسب ما تم مشاهدته².

1-2 عند الفقهاء:

*ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ/1449م):

يرجع ابن حجر العسقلاني إلى أن سبب الطاعون وخز من الجن ويتفق مع الأطباء في أعراضه، وهذا ما يظهر في قوله: ويفارق الطاعون الوباء بخصوص سببه الذي لم يرد في شيء من الأوباء نظيره وهو كونه من طعن الجن، وهو عندي لا يخالف قول الأطباء من كونه ينشأ من مادة سُمية أو هيجان الدم وانصبابه إلى عضو أو غير ذلك، لأنه لا مانع أن ذلك يحدث عن الطعنة الباطنة من مادة سُمية أو تهيج للدم أو انصبابه إلى عضو، ويتعارض ابن حجر مع الأطباء في كونهم لم يتعرضوا بأن الطاعون طعن من الجن، حيث أن هذا الأمر لا يدرك لا بالعقل ولا التجربة إنما خبر تلقيناه من الشارع، ولقد استند في الرد على من قال بأن الطاعون سببه فساد من الهواء سواء من الأطباء أو غيرهم على قول لابن قيم الجوزية لِمَا يقع الطاعون في أعدل الفصول وفي أطيب البلاد هواءً وماءً ولو كان الهواء حقاً لعم الناس والحيوان، فالمشاهد يرى بأن الطاعون يصيب بعض الناس والحيوانات ولا يصيب الآخر ممن يتشابه في جنسه ويأخذ أهل البيت من بلد بأجمعهم ولا يدخل بيتاً مجاوراً لهم أو يدخل

¹ ابن الخطيب: مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، ص 65.

² الشقوري: المصدر السابق، ص 265.

بيتا ويأخذ منهم إلا البعض ولو كان الهواء هو السبب لعم جميع البدن بمداومة الاستنشاق والطاعون إنما يحدث في جزء خاص من البدن¹.

*الرصاع (ت894هـ/1489م):

يذكر الرصاع أن الأحاديث النبوية التي حُصت بذكر الوباء في غالبه يكون من فساد الدم لفساد الهواء، بخلاف الطاعون الذي هو من وخز الجن لأن الطاعون إنما منعه الله دخول المدينة لوجود ملائكة وكلهم الله بمنع الدجال والجان الطاعن² وهذا وارد في الحديث فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال"³.

وما يؤكد أن الطاعون وخز من الجن حديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم⁴ "الطاعون وخز أعدائكم من الجن"⁵، وبعدها يذكر الرصاع المذاهب الثلاثة التي تحدثت عن الطاعون، وقد أطنب الكلام عنهم وقسمهم كالتالي:

*المذهب الأول: السبب الطبي الذي هو من فساد المياه والهواء والأطعمة فيفسد الدم فينتج عن ذلك أمراض⁶.

*المذهب الثاني: السبب الغيبي وهو وخز من الجن⁷.

¹ ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ص.ص 104-106.

² محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر السابق، ص107.

³ أخرجه البخاري: كتاب أبواب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، رقم الحديث1781، ج2، ص.ص664-665.

⁴ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر نفسه، ص107.

⁵ أخرجه الألباني: في صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث1403، ج2، ص155.

⁶ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر نفسه، ص108.

⁷ نفسه، ص108.

*المذهب الثالث: الطاعون على نوعين من فساد الدم كما ذكر الأطباء، ونوع من طعن الجن، ويقول: "عندي فيه قول" - عدم وضوح الكلام يعود إلى ضياع بعض الأوراق من الكتاب - ، لكن حسب ما يظهر لنا أنه يتفق مع رأي ابن حجر العسقلاني بأن الطاعون وخز من الجن، وفي أعراضه التي أقر بها الأطباء لأنه يقول ولا نمنع فساد الدم من غير أي تأثير، بل أمر عادي يقع فيه وخز الجن، وما يؤكد أيضا اتفاقه مع الأطباء هو حول علاج الطاعون فقد قسمها إلى قسمين طبية وشرعية وذلك بالأذكار الشرعية والإكثار من التسبيح والتكبير والتهليل، أما الطبية فباستعمال الأدوية وشم الروائح الطيبة التي تقوي القلب واستعمال المبردات والمصلحات التي تصفي الدم. أما بالنسبة لجواب الرصاع عن هذه المسألة -أسباب الطاعون- يقول: قد قررنا على مذهب أهل السنة والإسلام أنه ليس بمجهول السبب وإنما هو كما ذكر في الحديث إن صح أنه وخز من الجن¹.

*السيوطي (ت911هـ/1505م):

وجاء بعدهم السيوطي بنفس الأفكار والآراء بأن الطاعون سببه وخز من الجن وهذا ما يتجلى في قصيدته:

والمختار ينعطف الثناء	حمداً لله محسن الابتداء
فما أسردت عندهم هباء	سألت فخذ جوابك عن يقين
مزاج ساد أو فسد الهواء	فما الطاعون أفلاك ولا ال
بوخز الجن يطلعنا العراء	رسول الله أخبر أن هذا
بهم تقشوا المعاصي والزنا	سلطهم إله الخلق لما

¹ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر نفسه، ص.ص114-116.

يكون شهادة في أهل خير ورجسا للأولين بالشر بأؤوا
إن كان هذا في حديث صحيح ما به ضعف وراء
ومن يترك حديثا عن نبي لما قال الفلاسفة الجفاء
فذلك ماله في العقل حظ ومن دين النبي هو البراء
وناظمه السيوطي يدعو لكشف الكرب أن قبل الدعاء¹.

بالنسبة للطب الحديث اليوم يقول بأن الطاعون اكتشف بأن سببه ميكروب، وهنا نتساءل عن كيفية التوفيق بين ما ورد في الحديث وما أثبتته العلم الحديث مع يقين منا أن الإسلام لا يتعارض والعلم الصحيح.

فهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقصد بالجن الميكروب؟ الذي لم يكن معلوما لأحد آنذاك، وعبر عنه بالجن أخذاً من الاجتنان وهو الإستتار ويكون في هذا من الإعجاز العلمي ما فيه أم يريد بلفظ الجن حقيقته المشهودة.

وعند التحقيق لا تعارض بين الأمرين وكون الميكروب يسمى جناً تسمح به اللغة وهو اليوم أمر ثابت محقق بالعلم الحديث، فيكون للطاعون سببان الجن والميكروب كما يحتمل أن يكون مقصوداً بالجن الميكروب و فقط².

¹ السيوطي: رسالة في مرض الطاعون، ص.ص 36-37.

² السيد عبد الحكيم عبد الله: إعجاز الطب النبوي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 1418هـ-1998م، ص.ص 16-17.

2- مسألة العدوى:

2-1- عند الأطباء:

*ابن خاتمة (ت770هـ/1369م):

الحقيقة المسلم بها أن هذا الداء يسري شره ويتعدى ضره، فقد شهدت بذلك العادة وأحكمته التجربة فما من صحيح يخالط مصابا بهذا الداء إلا ونقل إليه المرض وهذه عادة غالبية أجزاها الله سبحانه وتعالى في خلقه والفعل في الأول والثاني للحق جل جلاله نفيا للتوليد- الأشياء تؤثر نفسها بنفسها- الذي يذهب إليه أهل الضلال وإبطالا للعدوى التي كانت تعتقدها العرب في الجاهلية وإعلانا بالحق الذي قام عليه شاهد الوجود¹.

وما يؤكد أمر العدوى هو ما تم مشاهدته في أحد أسواق ألمرية أين كان يبتاع ملابس الموتى فقد مات أكثرهم، كما طلعت على حال البلدان التي حرص أهلها على أن لا يدخل عليهم أحد من أرض الوباء فقد استصحبوا السلامة زمانا، وبحكم التجربة قد تبين بأن الصحيح إذا خالط المريض بالطاعون نقل إليه نفس مرضه، فإذا كان المريض ينفث دما نفث هو الآخر دما، وإن كان به ذبحة حدث له مثلها²، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا توردوا الممرض على المصح"³، ويقدم ابن خاتمة خمس تفسيرات مقترحة لهذا الحديث حيث يقول قولان باعتبار النسخ وثلاثة باعتبار مقصود النهي:

¹ ابن خاتمة: المصدر السابق، ص157.

² نفسه، ص159.

³ أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب العدوى، رقم الحديث5439، ج5، ص.ص 2177-2178.

1- أن يكون منسوخا بقوله "لا عدوى" وهذا ضعيف جدا.

2- عكس الأول وله وجه.

3- أن يكون النهي عن ذلك لما فيه من التأذي بالمرضى ورائحة النفس لمشاهدة أرباب العاهات.

4- أن يكون القصد به الاحتياط على العقائد مما عسى أن يتطرق إليها عند التشاؤم من الإثم وتوهم أن الأشياء يؤثر بعضها في بعض بأنفسها.

5- أن يكون قصد النهي الإرشاد إلى التحفظ على الصِّحَاح لئلا تمرض بقدر الله تعالى عند إيراد المرضى عليهم كما عود سبحانه في خلقه فتكون المرضى كالسبب فيها وفي ذلك حفظ للأموال¹.

وبالنسبة لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم "لا عدوى"² إنما هو إبطال للمعتقدات الفاسدة التي كانت تعتقدها العرب، ومن بين هذه المعتقدات إعداء المريض الصحيح بمرضه بحكم الطبيعة بأن شيئا يؤثر في شيء ويولده على خلاف ما ثبت في أصول العقائد بأن كل الأمور بيده سبحانه وتعالى ولا فاعل غيره ومنه فإن النهي على اعتقاد الشيء لا يدل على نفيه³.

¹ ابن خاتمة: المصدر السابق، ص 239.

² أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب لا عدوى، رقم الحديث 5439، ج 5، ص 2177-2178.

³ ابن خاتمة: المصدر نفسه، ص 238-239.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا عدوى¹ ولا طيرة² ولا صفر³ ولا هامة"⁴، فقال أعرابي يا رسول الله: فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الضباء فيجيء البعير الأجرى فيدخل فيها فيجر بها كلها قال: "فمن أعدى الأول"⁵، وقوله صلى الله عليه وسلم دليل واضح وحجة قاطعة على قطع دعوى العدوى، فقد أراد ابن خاتمة هنا أن يبين بأن العدوى ليست هي المنشأ أو العلة الأولى للمرض بل إن المرض خلق أولاً ثم كانت له صفة العدوى وهذا كله بقدرته تعالى، حيث يقول: أنه إذا وجدنا الداء أولاً دون عدوى من غيره وإنما كان وجوده عن قدرة الله عز وجل ومشيتته ابتداءً، فكذلك نعتقد في الثاني وفروعه أنه عن قدرة الله تعالى ومشيتته⁶، وبعدها يدلي ابن خاتمة برأيه هو عكس من قال بالنسخ وبأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقصد بحديث "لا توردوا الممرض على المصح" ثلاثة أمور اثنان منها في مصالح الدنيا والثالث من مصالح الدين وهي مضمن الأقوال الثلاثة الأخيرة من الخمسة⁷.

¹ لا عدوى: أعداه الداء يعديه إعداءً وأعداه ممن علته وخلقه وأعداه به جوزة إليه، فقد كان العرب يظنون أن المرض بنفسه يتعدى فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن الأمر كله بيده سبحانه وتعالى (ابن منظور، مج4، ص2737).

² لا طيرة: الطيرة مضادة للفأل، فقد استحسن الرسول صلى الله عليه وسلم الفأل وأبطل الطيرة (ابن منظور، مج4، ص2737).

³ ولا صفر: صفر الشهر الذي بعد محرم وكان العرب يتشاءمون بدخوله فنهى الإسلام عن هذا (ابن منظور، مج4، ص2460، صحيح البخاري، مج5، خاص بالمحقق، ص2159).

⁴ لا هامة: الهامة هي الرأس واسم لطائر يطير بالليل، كانوا يتشاءمون بدخوله وقيل كانوا يزعمون أن روح القتيل إذا لم يأخذ بثأره صارت طائر يقول اسقوني اسقوني حتى يثار له فيطير (صحيح البخاري، مج5، خاص بالمحقق، ص2158).

⁵ أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء غول ولا يورد ممرض على مصح، ج4، رقم الحديث (102)2020، ص1743.

⁶ ابن خاتمة: المصدر السابق، ص237.

⁷ نفسه، ص240.

ومما يؤكد عدم وجود معارضة بين حديثي "لا عدوى" و"لا توردوا الممرض على المصح"¹ هو قوله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون "إذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه"²، وهو يتضمن ثلاث فوائد وهي التي نبهنا إليها في قوله " لا توردوا الممرض على المصح"³.

أولاً: المحافظة على العقائد مما قد يتوهمه القادم إلى أرض الطاعون إن هو أصابه بأن مخالطته للمطعونين أعدته فيتشاءم ويعتقد بأن الأشياء تؤثر بعضها في بعض بأنفسها، كما قد يتوهمه الفار إن هو نجى بأن فراره هو الذي أنجاه فيعتقد أن الحذر ينجي من القدر وهذا كله خلافا لأصول الدين لأن كل الأمور بيده سبحانه وتعالى.

ثانياً: المحافظة على الأنفس والأبدان مما قد يلحقها من التلف والمرض إما لمن دخل أرض الطاعون وخالط المرضى وإما بالنسبة للفار وهلاكه بين من فر إليهم.

ثالثاً: المحافظة على الأنفس من التأذي برائحة المرضى والتألم بمشاهدة ما نزل بهم من الوباء سواءً للقادم إلى بلاد الطاعون أو الفار منه⁴.

*ابن الخطيب (ت776هـ/1375م):

يجب أن نسلم بدعوى العدوى حتى وإن نفيها الشرع، فقد أثبتت بالتجربة والاستقراء والحس والمشاهدة والأخبار المتواترة وهذه مواد البرهان فالمشاهدة أكدت أن من يخالط المصاب بالطاعون يدركه المرض وسلامة من لم يخالطه وهذا المرض

¹ ابن خاتمة: المصدر السابق، ص24.

² أخرجه مالك: كتاب الجامع، باب ما جاء في الطاعون، رقم الحديث 2612، ص475.

³ أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب لا عدوى، رقم الحديث 5439، ج5، ص.ص 2177-2178.

⁴ ابن خاتمة: المصدر نفسه، ص.ص 243-244.

يتعدى ضره فيشمل البيت بأسره والمباشرين لهم من جيرانهم وأقربائهم وزوارهم ليتسع الضر، ومن الأصول التي لا تجهل أن الدليل السمعي إذا عارضه الحس والمشاهدة لزم تأويله وهذا ما ذهب إليه طائفة وأثبتت القول بالعدوى وهناك أدلة كثيرة¹ منها قوله صلى الله عليه وسلم: "لا توردوا الممرض على المصح"²، واستشهد أيضا ابن الخطيب بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قرر الذهاب إلى بلاد الشام، وفي الطريق أخبره الجند بأن أرض الشام وبيئة وبعد مشورة مع أصحابه قرر عدم الدخول إليها، فقال له عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: "أفرار من قدر الله" فرد عليه عمر بن الخطاب: "نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، رأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان إحداها خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟"³ وقد شبه ابن الخطيب المفتين بعدم وجود عدوى بالأزرقة من الخوارج ذلك أنهم ألقوا بالناس إلى التهلكة بسبب فتواهم، وإنكار العدوى إنما هو سوء خلق وتصاقر على الله واسترخاخص لنفوس المسلمين⁴ ولا ينكر العدوى إلا أحد الرجلين إما منافق يقول بلسانه مالا يعتقد بقلبه وإما جاهل ما حضر وباء قط⁵.

*الشقوري (ت بعد 776هـ/1375م):

من خلال البحث في كتاب الشقوري فإننا لم نجد يذكر العدوى لكنه أشار إشارة خفية لها وهذا ما يتجلى في قوله⁶: "ولا ينبغي لأهل الجهل بالطب أن يتبعوا في ذلك

¹ ابن الخطيب: مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، ص.ص 72-74.

² أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب لا عدوى، رقم الحديث 5439، ج5، ص.ص 1277-1278.

³ صحيح البخاري، ج5، ص.ص 2163-2164.

⁴ ابن الخطيب: المصدر نفسه، ص.ص 74-75.

⁵ نفسه، ص75.

⁶ محمد العربي الخطابي: المرجع السابق، ص155.

هوى نفوسهم بل ينبغي الاقتداء بأهل الدين والفضل الذين هم مصابيح الهوى والأمة لمن بهم اقتدى، بل كثيرا من الناس يُفهم من كلامه أن الطب يخالف أمر الله وهذا جهل من قائله، وإنما المخالف لأمر الله من نسب فعل المخلوق من كل وجه بل ذلك شر والعياذ بالله¹.

من خلال ما تم عرضه في مسألة العدوى بين ابن خاتمة وابن الخطيب كان كليهما متفقين على الإقرار بالعدوى، إلا أنهما اختلفا في عرض أفكارهما.

فابن الخطيب انطلق من التجربة والمشاهدة، واعتمادا على هذا الأمر يؤول الحديث لكي ينطبق على الواقع.

أما ابن خاتمة كان شديد الحذر، فقد انطلق من الموقف الشرعي والعقدي بأن العدوى لا تنتقل بنفسها وإنما بإرادته سبحانه وتعالى إذ أنه أورد عدة أحاديث وقدم شرحا شرعيا ولغويا وربط بين عدة أحاديث للوصول إلى معنى متسق، فهو ركز على الجانب الشرعي في تقرير الحقيقة وبعد ذلك ذهب إلى ما برهنته التجربة والحس والمشاهدة.

2-2 عند الفقهاء:

*ابن حجر العسقلاني (ت852هـ/1449م):

وبالحديث عن رأي الفقيه ابن حجر العسقلاني للعدوى فإننا نجد أنه لم يخصص لها فصلا معينا بل قام بإدراجها ضمن مسألتين هما الفرار من الأرض التي وقع فيها الطاعون ومسألة الدخول إلى البلاد التي أصابها الطاعون، وخلال حديثه هذا أورد مجموعة من الأحاديث النبوية خاصة منها المتعلقة بالجذام، ومن بين هذه الأحاديث

¹ الشقوري: المصدر السابق، ص256.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الأسد"¹، وقد أورد الإمام مسلم في صحيحه أن وفدا من ثقيف جاء ليباع الرسول صلى الله عليه وسلم وكان فيهم رجلا مجذوما فلم يدخله الرسول صلى الله عليه وسلم على مجلسه وأرسل إليه "إنا قد بايعناك فارجع"²، وحديث "لا تورودوا الممرض مع المصح"³، وحديث "لا عدوى"⁴ مُتبعاً ذلك بذكر مجموعة من آراء الفقهاء والمحدثين واستأنس برأيين هما:

رأى ابن خزيمة⁵ الذي يقول عنه ابن حجر أنه في غاية التحقيق والإتقان على اعتبار نفيه العدوى أصلاً كما صرحت به الأخبار الصحيحة⁶، ورأى أبو عبيد القاسم بن سلام حيث يذكر ابن حجر شرح أبو عبيد ونهي الرسول عن إيراد المريض مع الصحيح، والذي يرى بأن في هذا النهي ليس لإثبات العدوى بل إن الصحاح إذا مرض بتقدير الله فربما وقع في نفس صاحبها أن ذلك من العدوى فيفتتن ويتشكك في ذلك فأمر باجتنابه⁷، دون أن يغفل ابن حجر عن رأي الأطباء الذين حذروا الصحيح من مخالطة المصاب بالطاعون ثم قدم نقداً للفقهاء القاضي تاج الدين⁸ هذا الأخير الذي

¹ أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب الجذام، رقم الحديث 5380، ج5، ص.ص 1258-1259.

² أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب اجتناب المجذوم ونحوه، رقم الحديث 2231، ج4، ص 1752.

³ أخرجه البخاري: الكتاب الطب، باب لا عدوى، رقم الحديث 5439، ج5، ص.ص 2117-2178.

⁴ نفسه، ص 2178.

⁵ ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر الحافظ الحجة الفقيه شيخ الإسلام إمام الأئمة أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي صاحب التصانيف ولد سنة 223هـ وعني بالحديث والفقه وكان سعة في العلم والإتقان وتطبيق تعاليم الدين الإسلامي له مصنفات تزيد عن مائة وأربعين كتاباً توفي 311هـ عن عمر ناهز 89 سنة (الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، أكرم البوشي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1402هـ/1982م، ج14، ص.ص 365-382).

⁶ ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ص 297.

⁷ نفسه، ص 301.

⁸ القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي أبو نصر قاضي القضاة المؤرخ الباحث، ولد في القاهرة 727هـ/1327م وكان طلق اللسان قوي الحجة انتهى إليه قضاء القضاة في الشام وعزل وتعصب منه

قال: "قد رأينا العامة تمتنع من ذلك حتى تركوا عيادة المطعون، والذي نقوله في ذلك إن شهد طبيبان عارفاً مسلمان عادلان أن ذلك سبب في أذى المخالط فالامتناع من مخالطته جائز أو أبلغ من ذلك"¹.

ليرد عليه ابن حجر لا تقبل شهادة من يشهد بذلك لأن المشاهدة تكذب ذلك فهذه الطواعين قد ذكروا وجودها في مصر والشام وقلّ أن يخلو بيتا من الإصابة بالطاعون وداخل هذا البيت يقوم الأهل برعاية المريض والاعتناء به وأكثرهم سلموا من المرض، فمن شهد بأن بذلك سبب في أذى المخالط فهو مكابر².

وقد لخص ابن حجر مسألة العدوى في أربع مذاهب وهي:

- 1- أن المرض يعدي بطبعه صرفاً وهذا قول الكفار.
- 2- أن المرض يعدي بأمر خلقه الله فيه وأودعه فيه لا ينفك عنه أصلاً إلا أن وقع لصاحبه معجزة أو كرامة فيختلف وهذا مذهب إسلامي لكنه مرجوح.
- 3- المرض يعدي لكن لا بطبعه بل بعبادة أجراها الله تعالى فيه غالباً كما أجرى العادة بإحراق النار وقد يتخلف ذلك بإرادته سبحانه لكن التخلف نادر في العادة -فهذا المذهب يتفق وابن خاتمة- ومنه نرى أن ابن حجر خلال معارضته لابن خاتمة على سبيل العادة ليس اعتراضاً شرعياً بل اعتراضه أن مشاهدته الشخصية أنكرت وجود العدوى³.

شيوخه فاتهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر وأتوا به مقيداً مغلولاً من الشام إلى مصر ثم أفرج عنه وعاد إلى =دمشق وتوفي بالطاعون سنة (771هـ/1370م) له تصانيف عدة: طبقات الشافعية الكبرى، معيد النعم ومبيد النقم، جمع الجوامع، أصول الفقه (الزركلي، ج4، ص184).

¹ ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ص341.

² نفسه، ص341.

³ نفسه، ص343.

4- أن المرض لا يعدي بطبعه أصلاً بل من اتفق له وقوع ذلك المرض فهو بخلق الله سبحانه وتعالى ذلك فيه ابتداءً ولهذا ترى الكثير ممن يصيبه المرض الذي يقال عنه يعدي، يخالطه الصحيح كثيراً ولا يصيبه شيء والعكس صحيح¹.
والمذهبان الأخيران مشهوران والذي يترجح في باب العدوى هو المذهب الأخير، عملاً بقول الرسول الله صلى الله عليه وسلم² "لا يعدي شيئاً شيئاً..."³، وحديثه صلى الله عليه وسلم: "فمن أعدى الأول"⁴.

* الرصاع (ت894هـ/1489م):

وبالنسبة للرصاع فقد ابتداءً كلامه بأن طرح رأي الأطباء في مسألة العدوى وأعطى مثالا على ذلك في تفسيرهم لمرض الجذام حيث يقول ذلك معلوم من حال الأطباء في النقل عنهم في الجذام وهذا المرض وهو مبني على أصلهم في الروائح الفاسدة المتعفنة ولا سيما إذا خرجت من أفواه المرضى فإنها روائح سُمية ينشأ عنها العدوى غالباً عندهم، وهذا كلام من راع العادة في ذلك، فصنفهم إلى صنفين: صنف من يعتقد فيها التأثير وهذا تجاهل الشرع وفساد التفكير، وصنف من اعتقد أن العادة لا تأثير لها بل أمر عادي ليبدلي برأيه في هذه المسألة بأن الله سبحانه وتعالى هو المقدر والخالق للمرض وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "فمن أعدى الأول" أزال هذا الحديث الإشكال الذي وقع في ذهنه الوقوع على العادة، فذكرهم بالحقيقة أن الله هو فاعل كل شيء.

ثم يقف على رأي الطبيب ابن خاتمة الذي خصه ضمن الأطباء المتشرعين، ثم يوضح رأيه بأن الفعل لله سبحانه وتعالى والعدوى أطلقت لفظاً على أسباب جرت

¹ ابن حجر العسقلاني: المصدر نفسه، ص343.

² نفسه، ص344.

³ الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، رقم الحديث 1152، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1415هـ/1995م، مج3، ص142.

⁴ أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب لا عدوى، رقم الحديث5439، مج5، ص.ص 2177-2178.

في العادة مرتبطة بمسبباتها بعدها معها لا بها - لا تؤثر الأشياء في بعضها بل بيده سبحانه وتعالى-، ثم إلى جمع ابن خاتمة لحديث "لا عدوى" "لا توردوا الممرض على المصح" وبأنه لا وجود للتعارض بين الحديثين¹.

ثم يتطرق لشرح ابن حجر العسقلاني وتمسكه بعدم وجود عدوى وبأن حديث "لا عدوى"² حديث صحيح هذا لمن ضعفه، والفرار من المجذوم ليس علتة وجود عدوى بل رحمة من نبينا صلى الله عليه وسلم بأن المخالط للمريض لربما نزل به نفس المرض فيقع في قلبه مثلما وقع في قلوب الجاهلية وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم³ "فمن أعدى الأول"⁴ قطع لسان من تمكنت الشبهة في قلبه، وقد أكل الرسول صلى الله عليه وسلم مع مجذوم⁵، وقال " كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه"⁶، ومن هذا يتعين أن هذا الحديث لأمر الإرشاد ولمن ضعف عنده اليقين⁷.

وبعدها يقول الرصاع والذي تحصل عندي في قوله صلى الله عليه وسلم "لا عدوى" ويقدم لنا ثلاث أقوال في العدوى من خلال التأويلات التي قدمت:

أولاً: أن يكون النهي عن إطلاق اللفظ وأن المؤمن الحقيقي لا يطلقه وان اعتقد أن التأثير إنما هو من عند الله مخالفة للعرف والجاهلية والطبيعية وهذا عندي صواب لأنه من أطلق ذلك وسمعته العامة، فمن ضعف يقينه اعتقد ما كانت الجاهلية تعتقده فيكون هذا صورته صورة الخبر إما أن يكون تحريماً أو كراهة فالتحريم على من اعتقد التأثير في العدوى والكراهة لمن أطلق لفظ العدوى واعتقد التأثير بالله.

¹ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر السابق، ص.ص 129-131.

² أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب لا عدوى، رقم الحديث 5439، ج5، ص.ص 2177-2178.

³ محمد المواق، محمد الرصاع الرصاع: المصدر نفسه، ص131.

⁴ أخرجه البخاري: المصدر نفسه، ص2178.

⁵ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر نفسه، ص.ص 132-133.

⁶ الألباني: ضعيف سنن الترمذي، ط1، كتاب الأطعمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الأكل مع المجذوم، رقم الحديث 1817، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1420هـ/2000م، ص172.

⁷ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر نفسه، ص133.

ثانيا: معناه النهي عما كانت العرب تعتقده من تأثير إعداء المريض للصحيح وهذا أيضا صحيح ويكون صورته الخبر ومعناه النهي لأن لا عدوى أصلا لأن الخبر فيه مقدرًا وتكون العدوى مفعولا بفعل مقدر¹.

ثالثا: نفي ما كانت العرب تعتقده بمعنى لا عدوى بالتأثير وهذا رأي ابن خاتمة، وبعدها يدل برأي ابن خاتمة كاملا بأن الاعتقاد في الشيء لا يدل على نفيه، وبعدها يقدم الرصاع رأيه في هذه الأقوال وهو النهي بالنطق بلفظ العدوى وهذا ما ينبغي التنبه عليه ولا يجرى على غيره من الأقوال بوجه، ويتبع كلامه بأنه أراد تصحيح الجواب من بعض الأخيار لطلبة العلم فوقع في المذاكرة بإمكان نفي العدوى ولو كان بغير تأثير، وجوزوا أن يكون تأويلا في الحديث غير التأويلات الثلاثة التي ذكرهم ليجد نفسه في تأويل رابع وهو رأي الطيبي، ومرد هذا التأويل أن العدوى تجاوز العلة صاحبها إلى غيره عدى فلانا فلانا في علته، والأطباء يجعلون ذلك في سبع علل في الجذام والجرب والجدري والحصباء والبخر والرمد والأمراض الوبائية، وقد اتفق الأغلبية على إبطال العدوى، وقد قيل المراد ليس إبطالها وإنما المراد نفي ما يعتقدون أن تلك العلة مؤثرة بنفسها، ويشير هذا إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "فمن أعدى الأول" فالأمر كله بمشيئته سبحانه وتعالى، فحسب الرصاع أن هذا الحديث ردا على من اعتقد اعتقاد الفلاسفة بأن الأشياء تؤثر نفسها بنفسها، إن نكر الأطباء في تلك العدوى عادة والفعل من الله كما نرى النار محرقة والحرق من الله تعالى، ولكن جرت العادة بربط السبب مع مسببه عادة وهذا الذي رأيت للمتشرعين منهم وليس على معنى العدوى التي لا تتفك عن التأثير.

في الحقيقة لا وجود للعدوى أصلا، وإن من أطلق عليها حقا مطلقا فقد أخطأ، ومن أطلق عليها على ما جرت به العادة مع السلامة من التأثير فقد أطلق اللفظ

¹ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر نفسه، ص133.

وأخطأ في الإطلاق وصح ذلك على ما قدم في التأويلات الثلاث¹، يعترض الرصاع على من أطلق العدوى على ربط الأسباب مع مسبباتها معتقدا بالتأثير فاعتراضه هنا عقدي، أما اعتراضه على من أطلق العدوى على ربط الأسباب مع مسبباتها عادة فاعتراضه هنا لفظي لقوله: النار محرقة والحرق من الله تعالى لكن جرت العادة بربط السبب مع مسببه عادة وهذا الذي رأيت للمتشرعين² -الأطباء المتشرعين- فهو يرى أن المرض لا يتعدى من مريض لصحيح على سبيل العادة إنما الروائح والسوائل التي تخرج من المريض هي التي تولد المرض لدى الصحيح، ومنه نقده للأطباء المتشرعين إنما هو نقد في اللفظ وليس في الشرع.

*السيوطي: في رسالته في مرض الطاعون والتي اعتمدها لم يتحدث عن العدوى.

*أما بالنسبة لمسألة العدوى في بلاد المغرب بخصوص الطاعون الأسود:

فإن ابن الخطيب قال أن هناك من أهل الورع من العدو المغربية من تراجعوا عن فتواهم القائلة "لا عدوى" مستقلين ومشهدين على أنفسهم خوفا من أن يقع الناس في التهلكة³.

وكذلك الزاهد ابن أبي مدين بمدينة سلا، وكان من القائلين بالعدوى، وقد تزود لمدة وبني منزله على أهله وهم كثيرون وفنيت المدينة ولم يرزأ نسمة واحدة بطول تلك المدة⁴.

¹ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر نفسه، ص.ص 133-151.

² نفسه، ص.142.

³ ابن الخطيب: مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، ص.75.

⁴ نفسه، ص.73.

*يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعالا لما تريد أسألك بنور وجهك الكريم الذي ملأ أركان عرشك وبقدرتك التي قدرت بها على خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء ارفع عنا هذا الوباء¹.

*ربنا أنت الله الذي لا إله إلا أنت تقدر اسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا أنت رب العالمين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك².

ثالثا - الطاعون في الأصول المغربية:

1 - الفقه:

*المسنون في أحكام الطاعون: للخطيب حسن بن علي (ت750هـ) -والد ابن قنفذ القسنطيني- يقول ابن قنفذ أن سبب تأليف هذا الكتاب هو اختلاف طلبة والده حول مسألة الفرار ممن أصيب بالطاعون³.

*دفع النعمة في الصلاة على نبي الرحمة: لابن حجة التلمساني (ت776هـ) ألف هذا الكتاب إثر ظهور الطاعون بمصر سنة 764هـ والسبب وراء هذا التأليف توجيه بعض الصالحين بأن كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تدفع الطاعون⁴، وقد أورد فيه الأحاديث الخاصة بالاستغفار والتوبة وأبوابا حول الطواعين

¹ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر السابق، ص120.

² أبي العباس أحمد بن يحيى الوئشيري (ت914هـ): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1401هـ/1981م، ج11، ص.ص 359-360.

³ أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ): الوفيات، ط4، تحقيق: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ص.ص 355-356.

⁴ ابن حجة التلمساني: دفع النعمة بالصلاة على نبي الرحمة، ص4 ب.

الواقعة منذ أول دولة في الإسلام إلى سنة 764هـ، ومن بينه الباب السابع الذي خصصه لطاعون 749هـ، واعتبره في المرتبة الواحدة والثلاثين مبينا أن مقدار من مات في سائر الدنيا نحو النصف¹.

*مقامة في أمر الوباء: لعمر المالقي (ت بعد 844هـ) أدرجها المقرئ في أزهار الرياض في أخبار عياض وقد ألفت هذه المقامة سنة (844هـ/1440م) في الحقيقة غابت عليها الصبغة الأدبية كثيرا حيث أن المالقي ذكر لنا أن أمير غرناطة واختياره لجنان العريف -بستان يقع خارج غرناطة- فضل هذا الأمير البقاء في هذا البستان عوض أسوار المدينة ثم أراد تغيير مكانه إلى مالقة حيث تبين لنا من خلال كلام المالقي كأن جنان العريف اجتاحه الطاعون وهذا استنادا إلى قول المالقي: سمعت أن حديث السفر إلى مالقة أثقل عليك ... وأن الآراء في ذلك اختلفت... القضية عول فيها على المقام والاستسلام... لكن ما يفعل المستسلم بالروح والجسد إذ قيل له اهرب من الأسد وقد أبصره مقبلا عليه أو منقضا عليه يأخذ في تحفظه واحتراسه أم يصير لافتراسه ويطيل الحديث في هذا الشأن بذكر أمثلة عن الاستسلام أو المقاومة لينهي هذا الجدل حول الفرار أو الاستسلام بأن الحديث الذي ينهي عن الخروج من الأرض الوبيئة والقدوم إليها حديث صحيح لكن النهي ليس بنهي تحريم وإنما على سبيل إرشاد وأدب وتعلم فلا إثم ولا حرج على من أقام ولا على من خرج².

¹ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر السابق، (خاص بالمحقق)، ص48.

² شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت1010): أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقاء إبراهيم الأبياري عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1358هـ/1939م، ج1، ص.ص125-129.

*الأجوبة التونسية من الأسئلة الغرناطية: ألفت سنة (886هـ/1481م) هي عبارة عن إجابات عن خمس وعشرين مسألة ألقاها محمد المواق¹ (ت897هـ/1492م) على محمد الرصاع (894هـ/1489م) وكانت نازلة الطاعون قد حضيت بالنصيب الأكبر في هذه المسائل وهذا طبعاً باعتراف الرصاع نفسه حيث قال: "وأدام النفع بكم لسيادتكم الفضل في الجواب الشافي مما تضمنه هذا المكتوب من المسائل الواردة على مقامكم العلي خصوصاً ما تعلق بنازلة الطاعون ولكم البقاء والعافية"²، وبالنسبة للمسائل التي تناولها -نازلة الطاعون- كانت بين قضايا طيبة وأخرى فقهية وأخرى تتعلق بحكم الطاعون والفرار منه والدخول إلى الأرض الوبيئة.

*المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس: الونشريسي (ت914هـ) وقد تناول نازلة الوباء ومخالطة المريض وفرار الناس منه نازلة هل يترك المصابون بالوباء عرضة للفناء³.

*عمدة الراوين في بيان أحكام الطواعين: محمد الخطابي الرعيني (ت954هـ/1574م) توجد منه نسخة محفوظة بالخرزانة العامة بالرباط ضمت تحت مجموع مخطوط تحت رقم 2855⁴.

¹ محمد المواق (ت897هـ/1492م) الأندلسي الغرناطي عالمها وشيخها ومفتيها، الحافظ المحقق القدوة الحجة (التبكي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص561).

² محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر السابق، ص89.

³ الونشريسي: المصدر السابق، ج11، ص352-360.

⁴ الحسين الفرقان: "مفهوم الوباء عند الإخباريين المغاربة في القرن التاسع عشر"، الجمعية المغربية للبحث التاريخي الجديدة، دار المنظومة، 2002م، ص311.

*المزيد من كتب الفقه ينظر: مقنعة السائل عن المرض الهائل، (خاص بالمحقق)، صص 15-40.

2- الطب:

*تحصيل عرض القاصد في تفصيل المرض الوافد: لأبو جعفر أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري (ت770هـ/1369م) لقد ألف ابن خاتمة هذا الكتاب تلبية لطلب صديق سألته عن حقيقة هذا الطاعون الذي ظهر بالمرية وهذا على حد قول ابن خاتمة: فإن بعض أصدقائي ممن يتعين علي إسعافهم ولا يسعني خلافهم سألوني عن حقيقة هذا الطاعون الظاهر بالمرية بتاريخ عام (749هـ/1349م)¹، ولقد تميزت رسالة ابن خاتمة بالأولوية في تناول دقيق للموضوع بكيفية علمية دون أن تعدم التفسير الديني²، وقد شملت هذه الرسالة عشر مسائل:

*المسألة الأولى: في حقيقة الطاعون والكلام فيها وهي فصلين فالفصل الأول في التعريف به على العموم، وهو ينقسم إلى قسمين: القسم الأول في معناه اللغوي والثاني في معناه الطبي، أما الفصل الثاني فهو بالتعريف بالخصوص عن المرض الوافد "وذلك بحسب هذا المرض الحادث ببلدنا وأمثاله"³.

*المسألة الثانية: في أسباب الوباء وفيه فصلين الفصل الأول في سببه العام وهو بدوره ينقسم إلى قسمين في سببه القريب وسببه البعيد والفصل الثاني في سببه الخاص حيث يقول: "هذا لطاعون الحادث في هذا التاريخ الذي وقع السؤال عنه"⁴.

*المسألة الثالثة: ما باله خص قوما دون آخرين على قرب الجوار؟

*المسألة الرابعة: ما ظهر من عدواه؟

*المسألة الخامسة: كيف التحفظ والاحتراز منه؟

¹ ابن خاتمة: المصدر السابق، ص126.

² ابن خاتمة، ابن الخطيب، الشقوري: ثلاث رسائل أندلسية، (خاص بالمحقق)، ص84.

³ ابن خاتمة: المصدر نفسه، ص130.

⁴ نفسه، ص141.

*المسألة السادسة: ما علاجه إذا نزل؟ وفيها فصلين: الفصل الأول: في علاج هذا المرض لأول استشعاره قبل تحكمه واستحكامه، الفصل الثاني: في علاجه بعد تحكمه واستحكامه كما ذكر أصناف الطاعون: أولاً حدوث طواعين، ثانياً نفث الدم، ثالثاً القروح السود.

*المسألة السابعة: ما جاء عن الشارع فيه صلوات الله وسلامه عليه؟

*المسألة الثامنة: ما معنى حديث النهي عن القدوم على أرضه أو الخروج عنها

فراراً منه؟

*المسألة التاسعة: ما معنى قوله عليه السلام "لا عدوى ولا طيرة"؟

*المسألة العاشرة: كيف الجمع بين الحديث ويقصد بحديث "لا عدوى" وحديث

النهي عن القدوم على أرض الطاعون أو الخروج عنها فراراً منها¹.

*مقنعة السائل عن المرض الهائل لابن الخطيب (ت776هـ/1375م): هي

رسالة في الطاعون الجارف الذي نُكبت به الأندلس وذكر فيها أعراض ظهوره وطرق الوقاية منه²، وهذه المقالة تعد أول إقرار بالعدوى بصفة صريحة وبدون أي مواربة في كامل تاريخ الفكر الإسلامي، الإقرار كان جريئاً إلى حد تغلب القول الطبي والعلمي على القول الديني³: "فإن قيل كيف نسلم دعوى العدوى وقد ورد الشرع بنفي ذلك؟ قلنا ثبت وجود العدوى بالتجربة والاستقراء والحس والمشاهدة والأخبار المتواترة وهذه مواد

¹ ابن خاتمة: المصدر نفسه، ص.ص 141-241.

² ابن الخطيب: مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، (خاص بالمحققة)، ص.7.

³ حسين بوجرة: الطاعون وبدع الطاعون الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير (1350م-1800م)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2011م، ص.332.

البرهان"¹، فتفسير ابن الخطيب العلمي وجد له شقا متعصبا من فقهاء المالكية وكان ذلك سببا لمحنته التي انتهت بقتله².

*تحقيق النبأ عن أمر الويا لمحمد الشقوري (ت بعد 776هـ/1375م): هي رسالة في الطاعون الجارف لسنة 749هـ مفقودة ولم يصل إلينا سوى المختصر لتحقيق النبأ الذي سماه النصيحة³ في خمس ورقات محفوظة بمكتبة دير الأسكوريال، وتقتصر هذه الرسالة على تقديم النصح الطبي من أجل الوقاية من الوباء وعلاج المصابين بمرضه وهو يحيل القارئ في آخرها على تأليفه المسمى بالنبأ⁴.

3- الرحلة:

*تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لابن بطوطة (779هـ/1377م): هذا الذي توفيت والدته بسبب الطاعون⁵، ذكر ابن بطوطة مراكش بعد رجوعه إليها عائدا من الأندلس بأن الخراب استولى عليها⁶ دون أن يمدنا بإحصائيات لضحايا هذا الوباء فيها، ونرى بأنه قدم إحصائيات لبعض المدن العربية، مثل غزة أزيد من ألف ضحية في اليوم الواحد، وحمص ثلاث مائة في اليوم، ودمشق ألفين وأربع مائة في اليوم الواحد، الإسكندرية ألف وثمانون شخص باليوم⁷.

¹ ابن الخطيب: المصدر السابق، ص72.

² ابن خاتمة، ابن الخطيب، الشقوري، ثلاث رسائل أندلسية، (خاص بالمحقق)، ص84.

³ نفسه، (خاص بالمحقق)، ص25.

⁴ محمد العربي الخطابي، المرجع السابق، ص155.

⁵ ابن بطوطة (ت779هـ): رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط1، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، مراد مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، ج2، ص670.

⁶ نفسه، ص686.

⁷ نفسه، ص.ص 665-666.

*رحلة ابن خلدون: لابن خلدون (ت1406/808م) هو الآخر لم يقدم لنا إحصائيات بخصوص ضحايا الطاعون الجارف مكتفياً بوصف هول المنظر حيث قال: "جاء الطاعون الجارف فطوى البساط بما فيه"¹، كما ذكر بأنه فقد والديه وجميع مشيخته والأعيان والصدور بهذا الوباء².

4-التصوف والولاية:

بملاستنا كتب المناقب والكرامات وتراجم المتصوفة بخصوص موضوع الطاعون كان هنا كعجز للأولياء في إيجاد علاج للطاعون -مثملاً كان يعتقد- على غرار الأمراض الأخرى مثملاً يذكره ابن قنفذ بأن امرأة عالجه ولي من البرص بعد أن مسح بريقه على موقع البرص وعجز الأطباء عند مداواتها بل بالعكس صرفت أموالاً كثيرة ولم يقدموا لها العلاج³، وهذا العجز قد أقرّ به واحد من هؤلاء الصوفية، حيث يقول ابن عباد (ت792هـ): أن أحد الآباء جاء بإناءين (حنة وماء) ليرقي أولاده الذين أصابهم الطاعون إلا أن رقيه لم تجد نفعا ففقدَ فقدَ هذا الأب أبناؤه وكان ابن عباد يحضر جنازتهم⁴.

رابعا - أبيات شعرية نظمت أيام الطاعون الأسود:

كثيرة هي الأبيات التي نظمت أيام الطاعون، ونذكر منها ما تعلق بطاعون موضوع البحث:

¹ ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ط1، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1425هـ/2004م، ص45.

² نفسه، ص65.

³ ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق: محمد الفاسي، وأودلف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، المغرب، ص.ص 30-31.

⁴ النفري أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عباد الرندي الفاسي (ت792هـ): مخطوطة الرسائل الكبرى المسماة نزهة الناظر المتأمل وقيد السائر المستعجل، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، ص.ص 289-290.

قال ابن الوردي (749هـ/1349م):

يقولون شم الخل في زمن الوباء وفاقا لما قال الأطباء يا خلي
فإن قلت للطاعون تسطو على الورى يقول نعم... أسطو وأنفك في الخل¹

الله أكبر من وباء قد سبا ويصول في العقلاء كالمجنون
سنت أسنته لكل مدينة فعجبت للمكروه في المسنون

قالوا فساد الهواء يردي فقلت يردي هوى الفساد
كم سيئات وكم خطايا نادى عليكم بها المنادي

هذا يوصي بأولاده وهذا يودع جيرانه
وهذا يهين أشغاله وهذا يجهز أكفانه
وهذا يصلح أعدائه وهذا يلاطف إخوانه
وهذا يوسع إنفاقه وهذا يخایل من خانه
وهذا يحبس أملاكه وهذا يحرر غلمانه
وهذا يغير أخلاقه وهذا يعير ميزانه
ألا إن هذا الوباء قد سبا وقد كان يرسل طوفانه

¹ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري: بدائع الزهور في وقائع الدهور، دار مطابع الشعب، القاهرة، مصر، 1960م، ص164.

فلا عاصم اليوم من أمره سوى رحمة الله سبحانه¹

وقد قال قبل أن يموت بيومين:

ولست أخاف طاعونا كغيري فما هو غير إحدى الحسينيين
فإن مت استرحت من الأعادي وإن عشت اشتقت أذني وعيني²

قال خليل بن أبيك الصفدي (ت764هـ/1363م):

لما افترت صحابي يا عام تسعا أربعينا
ما كنت والله تسعا بل كنت سبعا يقينا

رعى الرحمان دهرًا قد تولى يجازي بالسلامة كل شرط
وكان الناس في غفلات فجا طاعونهم من تحت إبط

ثل هذا الطاعون عرش دمشق بقضاء من ربنا سبحانه
فلكم مات بالخياره شخص كان يبدو وكأنه ريحانة

يا رحمتا لدمشق من طاعونها فالكل مغتبق به أو مصطبح
كم هالك نفث الدما من حلقه أوتراه بغير سكين ذبح

¹ ابن الوردي: ديوان ابن الوردي، ص.ص 89-91.

² نفسه، ص 281.

مصيبة الطاعون قد أصبحت لم يخلو منها في الورى بقعة
تدخل في المنزل لو أنه مدينة أخلته في جمعه

قد نغص الطاعون عيش الورى واهلك الوالد والوالدة
كم منزل كالشمع سكانه أطفالهم في نفحة واحدة

لا تتق بالحياة طرفة عين في زمان طاعونه مستطير
فكانه القبور شعلة شمع والبرايا لها فراش يطير¹

قال الفقيه أبو جعفر بن خاتمة (770هـ/1369م): أنشدني شيخنا أبو البركات ابن
الحاج لنفسه بعقب إقلاع الطاعون عن ألمرية عصمها الله:

شكرت الله شكرا لم يوفى حقوق فضائل الويا المبارك
فكم غسل السخائم من قلوب وعاون في حوائجنا وشارك²

قال ابن حجلة التلمساني (776هـ/1375م)

وما عسكر الطاعون إلا مظفر إذا نشبت في الخلق منه الأظافر

¹ خليل بن أبيك الصنفي (ت764هـ): ألحان السواجع بين البادئ والمراجع، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، سوريا، 1435هـ/2004م، ج1، ص.ص 113-116.

² أبي الحسن علي بن عبد الرحمان بن هذيل الفزاري (ت ق8هـ): فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار، تحقيق: عبد الله حمادي، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2004م، ص.ص 211-212.

علي إنه للمسلمين شهادة تشد لدفع الوزر فيها المأزر¹

أرى الطاعون يفتك بالبرايا ويطعن طعن أرياب الحراب
وينشد عندهم العمر مناً لدوا للموت وابنوا للخراب².

¹ ابن حجلة التلمساني: ديوان ابن حجلة، مصور من النسخة المخطوطة 205 المحفوظة بدار الكتب القومية، فيلم 4279، موقع كتاب بديا ص52.

² شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمان بن محمد السخاوي (ت902هـ): الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، ط1، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، محمود الأرنؤوط، مكتبة العروبة، الكويت، دار العماد، بيروت، لبنان، 1413هـ-1992م، ص99.

الفصل الثالث:

طاعون منتصف القرن الثامن الهجري في بلاد المغرب:

منطلقاته ومآلاته:

أولاً: ظهور طاعون منتصف القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي.

ثانياً: الأسماء التي أطلقت على طاعون منتصف القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي.

ثالثاً: مواجهة الطاعون بين العوام والخواص.

رابعاً: التأثير الديموغرافي والذهني لطاعون منتصف القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي.

أولاً- ظهور طاعون منتصف القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي:

1- جذوره الأولى:

من خلال ملامستنا لبعض الأصول الوسيطية التي تناولت بدايات ظهور الطاعون فإننا نجد أن أغلبها يميل إلى الرأي القائل أن بلاد الخطأ أي الصين هي أرض ظهور الطاعون، وتجدر الإشارة إلى أن قول ابن خاتمة يُظهر بأنه كان هناك اختلاف في مبدأ ظهور الطاعون: "اختلف الأمر في مبدأ هذا الحادث من أين ابتداء ظهوره"¹، وهذا ما ذهب إليه ابن الوردي حين عبر عن بداية ظهور الطاعون بالظلمات، ويقصد بذلك أن مبدأ أرض الطاعون مجهولة حيث يقول: "هذا الوباء قيل لنا أنه ابتداءً من الظلمات من خمس عشر سنة متقدمة عن تاريخه"²، وقد أرجع ابن خاتمة هذا التضارب في تحديد مبدأ الطاعون بأنه ضرب العالم بأسره، وعندما يظهر في مكان ما يعتقد سكانه بأن بلادهم هي منشأ الطاعون، وهذا ما يتجلى في قوله: "واختلاف هذا النقل يدل على أن هذا الحادث عام لجميع الأقاليم وكافة الأقطار، وسبب اختلاف النقل والله أعلم أنه مهما ظهر بجهة من الجهات التي هي أوائل المعمور ظن ناسها أن مبدأ هذا الحادث منها وانتشر الخبر بذلك"³، وما يؤكد رأي ابن

¹ ابن خاتمة: المصدر السابق، ص143.

² ابن الوردي: تنمة المختصر في أخبار البشر، تاريخ ابن الوردي، المطبعة الوهبية، مصر، 1285م، ج2، ص350.

³ ابن خاتمة: المصدر نفسه، ص144.

خاتمة في عالمية الطاعون هو قول لابن حجلة التلمساني (776هـ): "الطاعون الحادي والثلاثون سنة تسع وأربعين وسبع مائة ويعرف عند العوام بالفصل وهذا الطاعون الذي عم البلاد وأباد العباد فقطع كل درب وساوى بين أهل الشرق والغرب"¹، وقول المقرئزي (ت845هـ): "ولم يكن هذا الوباء كما عهد في إقليم دون إقليم بل عم الأقاليم شرقا وغربا وشمالا وجنوبا جميع أجناس بني آدم حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر"²، وقال أيضا ابن ثغري بردي (874هـ) في هذا الصدد: "عم الوباء العظيم الدنيا حتى دخل مكة المشرفة ثم عم شرق الأرض وغربها فمات في هذا الطاعون بمصر والشام وغيرهما خلائق لا تحصى"³.

قدم لنا ابن خاتمة سندين حصل عليهما من تاجرين نصرانيين يتضمن السند الأول فرضية أن بداية الطاعون من بلاد الخطا حيث يقول: "فذكر لي الثقة عن بعض تجار النصارى القادمين علينا بالمرية أن ابتداءه كان ببلاد الخطا وبلاد الخطا بلسان العجم هي بلاد الصين على ما تلقيته عن بعض الواردين من أهل سمرقند⁴ وكان ثقة صدوقا".

أما عن فحوى السند الثاني أن بداية الطاعون كانت من بلاد الحبشة: "وذكر لي أيضا آخرين من النصارى القادمين علينا أنه بلغهم أن ابتداءه كان بأرض الحبشة، وأنه

¹ ابن حجلة التلمساني: دفع النقمة في الصلاة على نبي الرحمة، ص75 أ.

² تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقرئزي (ت845هـ): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القاهر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/1997م، ج4، ص81.

³ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن ثغري بردي الأتابكي (ت874هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة، مصر، د.س، ج10، ص233.

⁴ سمرقند: بفتح أوله وثانيه، ويقال لها بالعربية سمران بلد معروف مشهور قيل إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وهو قسبة الصغد مبنية على جنوبي وادي الصغد وسمرقند في الإقليم الرابع، (ياقوت الحموي، مج3، ص.ص246-247).

انتشر من هنالك فيما يليهم من الأقاليم والأقطار حتى انتهى إلى ديار مصر والشام¹، غير أن كلام ابن خاتمة يوحي لنا بأن بلاد الخطا هي مبدأ ظهور الطاعون، وما يعزز هذا الرأي وصفه لراوي السند الأول على أنه "ثقة صدوقاً"²، فحين اكتفى بذكر راوي السند الثاني دون أي تثمين.

أما فيما يتعلق برأي ذي الوزارتين حول منشئ الطاعون فإنه يرجعه إلى بلاد الخطا والصين: "هذا الواقع ابتداءً بأرض الخطا والصين في حدود عام أربعة وثلاثين وسبع مائة، حَدَثَ بذلك غير واحد ممن يوثق به من أولى الرحلة والجولان كالشيخ القاضي الحاج أبي عبد الله بن بطوطة وغيره"³.

أما المقرئ فقد عبر عن بلاد القان الكبير⁴ على أنها نفسها بلاد الخطا على اعتبار أنها الأرض التي ظهر بها الطاعون⁵.

وقد رفض المؤرخ بيران بعد أن أحال إلى ابن خاتمة بأن الصين هي المنطلق الأول للطاعون الأسود مفضلاً القول بأن آسيا الوسطى وتحديدًا منطقة بحيرة بلكاش أي قلب الأراضي المغولية هي المهد الأول لهذا الطاعون⁶.

تعددت الأسباب التي أدت إلى ظهور الطاعون الأسود، فربما تكون إلى ما أقر به ابن الخطيب (ت776هـ) بأن حصلت حرباً أجليت عنها جيف كثيرة متعفنة بعد أن تقدمها حريق نار أتى على النجم والشجر ففسد الهواء وتعاضدت الأسباب القريبة

¹ ابن خاتمة: المصدر السابق، ص.ص 143-144.

² نفسه، ص 143.

³ ابن الخطيب: مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، ص.ص 75-76.

⁴ القان الكبير: السلطان الأعظم لمملكة الصين والخطا، (ابن بطوطة، ج2، ص655).

⁵ المقرئ: المصدر السابق، ج4، ص81.

⁶ حسين بوجرة: المرجع السابق، ص452.

بالأسباب القصوى¹، أو إلى ما جاء به المقرئزي: بأن في سنة اثنين وأربعين وسبع مائة هلك جميع سكان بلاد الخطا من غير علة وأصبحوا جيّفاً فوق الأرض ثم حملت الريح ننتهم فما مرت على بلد واشتم الإنسان والحيوان تلك الرائحة مات لوقته².

بينما تذكر الباحثة فاطمة الزهراء حتحات في رسالتها وباء الطاعون بأوروبا اللاتينية خلال القرن الرابع عشر الميلادي بأن السبب أنه في سنة (734هـ/1333م) شهدت الصين موجة من الجفاف ثم تبعها هطول أمطار طوفانية معتبرة تسبب في هلاك أربعة آلاف شخص وبعد سنة اجتاحت الفيضانات المناطق المجاورة، وتسببت الأمراض في حصد خمسة ملايين من السكان ليتضاعف العدد بعد بضعة أشهر إثر وقوع زلزال ناهيك عن أسراب الجراد التي أتت على كامل المحاصيل وحلت مجاعة تسببت في هلاك أربعة ملايين شخص، ومما زاد الأمر سوءاً سقوط نيزك على الأرض نجم عنه تلوث الهواء بالغازات السامة³.

2- انتقال الطاعون إلى بلاد المغرب الإسلامي وانتشاره فيه:

بالحديث عن انتقال الطاعون من الصين وصولاً إلى بلاد المغرب الإسلامي، فنجد أنه قد مر بعدة أقاليم ذكرها لنا ابن خاتمة: بلاد الخطا الصين ← ويتصل بما والاهما عراق العجم ← وبر تركية- حصن قفا ← أرض بيزة ← القسطنطينية العظمى ← الجزر الرومانية من سواحل البحر الرومي ← بلاد جنوة ← أرض فرنسه ← الأندلس: أرغونة، برجلونة، بلنسية وغيرها ← قشتالة حتى انتهى إلى إشبيلية من أقصى المغرب ←

¹ ابن الخطيب: مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، ص76، وللمزيد حول الأسباب القريبة والأسباب البعيدة ينظر إلى نفس المصدر، ص65.

² المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ص81.

³ فاطمة الزهراء حتحات: وباء الطاعون الموت الأسود بأوروبا اللاتينية خلال القرن الرابع عشر ميلادي (رسالة ماجستير)، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، (1435هـ-1436هـ/2014م-2015م)، صص 51-52.

البحر الرومي: جزيرة صقلية وسردانية وميورقة ويابسة ← سواحل العدو وبلادها من أرض إفريقية إلى ما يلي المغرب¹.

ونظرا للتداخل الكبير بين عوامل الانتشار وعوامل الانتقال صعب علينا الفصل بينهم لذا ارتأينا لوضع هذه النقاط:

- كثرة الكوارث الطبيعية كالزلازل ونزول الأمطار الغزيرة مما تسبب في انتشار المرض².

- كثرة السفن على الموانئ المغربية الوافدة من الموانئ الأوروبية (الإيطالية والفرنسية) والإسكندرية وبلاد الشام وذلك سنة (748هـ/1347م) أو السنة التي تلتها³، دون نسيان المعبر الآخر وهو بلاد الأندلس نظرا للارتباط القوي بين العدوتين، وهذا ما أشار إليه ابن الخطيب حين قال: "وفي مدن السواحل المستصحبة حال السلامة إلى أن يحل بها في البحر من عدوة أخرى قد شاع عنها خبر الوباء رجل متوفٍ فيكون تاريخ ظهور المرض بها"⁴، وعلى عكس ذلك يقل الطاعون بالمدن الداخلية وخاصة الصحراوية⁵ استنادا إلى قول الوزان (960هـ/1554م): "إن الوباء لم يظهر بنو ميديا بلاد الواحات منذ مائة سنة"⁶.

- وقد لعبت أيضا شبكة الطرق البرية دورا كبيرا وفعالا في انتشار الوباء فقوافل الحجاج والتجار القادمون من الشرق عبر مصر وبرقة كثيرا ما نشروا في طريقهم

¹ ابن خاتمة: المصدر السابق، ص144.

² محمد المواق، محمد الرصاع، (خاص بالمحقق)، ص56.

³ أحمد السعداوي: "المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون: الطاعون الأعظم والطواعين التي تلتها القرنين 8-9هـ/14-15م"، إيلا، العدد175، د.س، ص121.

⁴ ابن الخطيب:مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، ص73.

⁵ أحمد السعداوي: المرجع نفسه، ص128.

⁶ الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي (ت960هـ): وصف إفريقيا، ترجمه من الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ج1، ص85.

المرض وأيضا القوافل المتنقلة بين شرقي المغرب وغربيه¹، وقد قال ابن الخطيب في هذا الصدد: "وتواترت الأخبار بسلامة أماكن لا تطأها الطرق ومنقطعة"².

- أشار المقرئ إلى عامل آخر ويرتبط الأمر بعرب إفريقية الذين انتهزوا فرصة تعرض بلاد الفرنج لوباء الطاعون، حيث قاموا بعمليات نهب وسلب إلا أن معظمهم مات في الطريق³.

- الجيوش التي ساهمت في انتشار الوباء كالجيش المريني الذي غادر إفريقية عائدا إلى فاس تسبب في نشر الطاعون إلى كل من المغرب الأوسط والأقصى⁴.

*الترحال الذي أثر سلبا وإيجابا، فمن الناحية السلبية يستطيع الرحالة نقل الطاعون إلى الأماكن السليمة أما من الناحية الإيجابية يمكن تعطيل انتشار العدوى إذ بإمكان الرحالة أن يفروا من المرض وتجنب الوباء وسكن المناطق الصحراوية المعزولة لتبتعد عن المناطق الموبوءة⁵، وفي هذا الصدد قال ابن الخطيب: "صح النقل بسلامة أهل العمود⁶ والرحالين من العرب في إفريقية لعدم انحصار الهواء وقلة تمكن الفساد منه"⁷.

- التجمع البشري وفي هذا الشأن يمكن إعطاء عدة أمثلة نذكر منها:

¹ أحمد السعداوي: المرجع السابق، ص.ص 128-129.

² ابن الخطيب: مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، ص.73.

³ المقرئ: المصدر السابق، ج4، ص.83.

⁴ أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف ابن أبي دينار (ت 1111): المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ط1، المطبعة الدولية التونسية، تونس، 1286هـ، ص.ص 138-139.

⁵ أحمد السعداوي: المرجع نفسه، ص.129.

⁶ أهل العمود: لعله يقصد أهل العمد (جمع عماد) أي وتد الخيمة ويكون المقصود أهل الخيام (ابن الخطيب: مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، (خاص بالمحققة)، ص.74.

⁷ ابن الخطيب: المصدر نفسه، ص.129.

- التنقلات لزيارة الأضرحة والأولياء فهي تلعب دور في نشر الوباء خاصة في فترات الشدة والأزمات يزداد الإقبال على الأضرحة¹.

- عيادة المريض فمن خلال نوازل الونشريسي برز لنا سؤال أحدهم عن وقع فيهم الوباء ففروا فما يجب عليهم من حقوق إخوانهم لما عاينوا من سريان الوباء، فكانت الإجابة بأن القيام بحقوق المسلمين من التمريض والغسل والدفن فرض لا يمكن إهماله وكذلك عيادة المرضى....، وهذا يدل على أن المغاربة لم يتوقفوا إلى حد ما عن عيادة المريض حتى في زمن الطاعون².

- الجنائز أورد لنا الرصاع أنه وقف على قول لابن قنفذ القسنطيني هذا الأخير أخذه عن والده الذي سمع الخبر عن رواة ثقاة من فاس، أنه صلي في اليوم على أربعة آلاف شخص في طاعون منتصف القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، وهذا المثال يؤكد أن المغاربة لم يتوقفوا على الحضور في الجنائز حتى أيام الطاعون³.

- ما كان معمولاً به في تونس زمن الوباء قراءة صحيح البخاري وختمه وهذا دليل على المدينة عند قراءتهم كانوا يلتقون وربما يكون هذا من بين أسباب انتقال العدوى⁴.

¹ أحمد السعداوي: المرجع السابق، ص129.

² الونشريسي: المصدر السابق، ج11، ص358.

³ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر السابق، ص.ص163-164.

⁴ نفسه، ص122.

ثانيا - الأسماء التي أطلقت على طاعون منتصف القرن الثامن الهجري الرابع العشر الميلادي:

تعددت التسميات لهذا الطاعون واختلفت، إلا أن جميعها يؤكد على هول وشدة المشهد المرعب لهذا الوباء الفتاك، نذكر منها:

- طاعون الأنساب: هذه التسمية أطلقها العلامة المصري ابن الوردى المتوفى سنة (749هـ/1349م) فمن خلال كلامه يتضح وكأنه يقصد بالنسب العائلة وبأن الطاعون عندما يدخل على العائلة يحصدهم جميعا.

حيث يقول فيه هو سادس طاعون في الإسلام وعندي هو الموتان¹ الذي أنذر به نبينا عليه الصلاة والسلام²، وقد يكون ابن الوردى قد بنى رأيه استنادا إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "أُعِدُّ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ مَوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ³ ثُمَّ اسْتِغَاظَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ⁴ فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا"⁵.

وفي هذا الصدد نجد أن ابن الوردى قد نظم أبياتا شعرية تطرق فيها لوصف طاعون النسب:

أعوذ بالله ربي من شر طاعون النسب باروده المستعلي قد طار في الأقطار

¹ الموتان: الموت الذي يقع في المال والماشية (ابن منظور، مج6، ص4296).

² ابن الوردى: تنمة المختصر في أخبار البشر، ج2، ص352.

³ قعاص الغنم: داء يصيب الغنم فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة (صحيح البخاري، ج3، خاص بالمحقق، ص1159).

⁴ بني الأصفر: الروم (صحيح البخاري: نفسه، (خاص بالمحقق)، ج3، ص1159).

⁵ أخرجه البخاري: كتاب أبواب الجزية والموادعة، باب ما يحذر من العذر، رقم الحديث3005، ج3، ص1159.

دولاب دهاشاته لصارخ مارئي ولا فدا بذخيرة فتاشه الطبار

يدخل إلى الدار يحلف ما أخرج بأهلها معي كتاب القاضي بكل من في الدار¹.

- **المرض الوافد:** هذا الاسم أطلقه الطبيب الأندلسي ابن خاتمة (ت770هـ/1369م) معنونا به كتابه تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، وقد أطلق ابن خاتمة هذا الاسم نظرا للعلاقة بين صبغة المرض الكونية وانتقالها من بلد إلى آخر عن طريق العدوى².

* **المرض الهائل:** هذه التسمية أطلقها ذو الوزارتين (ت776هـ/1375م) معنونا بها كتابه مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل وهذا التعبير يوحي لنا على هول المرض وشدة فتكه.

* **الفصل:** هذه التسمية استخدمها العوام، وقد ذكر ذلك ابن حجلة التلمساني والمرجح أن يكون عوام مصر على اعتبار أن ابن حجلة كان يقيم في أرض مصر ويُذكر الفصل في قوله "الطاعون الحادي والثلاثون وستة تسع وأربعين وسبع مائة ويعرف عند العوام بالفصل"³.

- **الطاعون الأعظم:** هذا المصطلح عبر به الرحالة المغربي ابن بطوطة (ت779هـ/1377م) وربما قصد بهذا التعبير أنه أكبر الطواعين التي ضربت العالم على الأقل إلى حدود ذلك التاريخ وأورد هذا المصطلح في قوله: "شاهدت أيام الطاعون الأعظم بدمشق في أواخر ربيع الثاني سنة تسع وأربعين..."⁴.

¹ ابن الوردي: تنمة المختصر في أخبار البشر ج2، ص352.

² حسين بوجرة: المرجع السابق، ص35.

³ ابن حجلة التلمساني: دفع النعمة في الصلاة على نبي الرحمة، ص75 أ.

⁴ ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2، ص670.

- **الطاعون الجارف:** سمي المؤرخ الموسوعي ابن خلدون (ت808هـ/1406م) طاعون منتصف القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي باسم الطاعون الجارف مبينا لنا أن هذا المرض كارثة كونية حقيقية راسما لنا الصورة المأساوية وذلك يتجلى في قوله: "هذا إلى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم وذهب بأهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وفل من حدها وأوهن من سلطانها وتداعت إلى التلاشي والاضمحلال أموالها وانتقض عمران الأرض بانتقاض البشر، فخربت الأمصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن وكأني بالمشرق قد نزل به مثلما نزل بالمغرب لكن على نسبته ومقدار عمرانه وكأنما نادى لسكان الكون في العالم بالخمول والانقباض فبادر بالإجابة والله وارث الأرض ومن عليها¹، وقال أيضا "جاء الطاعون الجارف فطوى البساط بما فيه"².

- **الوباء العظيم العام:** هذا المصطلح أطلقه الفقيه المغربي ابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ/1408م) وربما قصد بهذا التعبير عن المشهد الفتاك الذي عم العالم بأسره حيث يقول عن وفاة والده "ووفاته في عام خمسين وسبع مائة وهو عام الوباء العظيم العام"³.

- **الموتان:** كثير من المؤرخين من استعمل مصطلح الموتان ومن بينهم المقرئزي (ت845هـ/1442م) وهذا المصطلح دلالة على الضحايا الذين راحوا جراء هذا

¹ ابن خلدون: المقدمة، ص.ص42-43.

² ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ص45، أبي عبد الله محمد بن محمد الملقب بابن مريم البستاني، تحقيق: ابن أبي شنب، طبع في المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ص126.

³ ابن قنفذ القسنطيني: أنس الفقير وعز الحقيير، ص47.

الطاعون وأورد المقرئزي هذا المصطلح في قوله: "وعم الموتان إفريقية بأسرها جبالها وصحاريها ومدنها وجافت من الموتى وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها"¹.

- **الوباء العظيم:** هذا المصطلح عبر به المؤرخ المصري ابن ثغري بردي (ت874هـ/1470م) عن طاعون منتصف القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، وهذا المصطلح لا يختلف عن سابقه في وصف المشهد المرعب الذي نجم عن هذا الطاعون، وأورد ابن ثغري بردي هذا المصطلح في قوله: "عم الوباء العظيم الدنيا حتى دخل مكة المشرفة ثم عم شرق الأرض وغربها فمات في هذا الطاعون بمصر والشام وغيرهما خلائق لا تحصى"².

- **الطاعون العام:** سمى الفقيه المصري السيوطي (ت911هـ/1505م) هذا الطاعون بالطاعون العام، وهذا الاسم دليل على عالمية المرض وأورد السيوطي هذا الاسم في قوله: "ثم كان الطاعون العام في سنة تسع وأربعين وسبعمائة ولم يعهد نظيره في الدنيا فإنه طبق الأرض شرقا وغربا"³.

- **الموت الأسود the black death** هذا المصطلح أطلقه الغربيون على طاعون منتصف القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي في القرن السادس عشر الميلادي ليتداول استعماله في القرن التاسع عشر الميلادي⁴، وهذه التسمية دليل على شدة ما أحدثه من رعب وفضاعة وبشاعة وما خلفه في ذهنية الغربيون، ويورد هذا المصطلح روبرت، س جوتفريد في عنوان كتابه الموت الأسود جائحة طبيعية وبشرية

¹ المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ص84.

² ابن ثغري بردي: المصدر السابق، ج10، ص233.

³ السيوطي: رسالة في مرض الطاعون، ص50.

⁴ فاطمة الزهراء حتحات: المرجع السابق، ص46.

في عالم العصور الوسطى حين يقول: "في أكتوبر 1347م اتخذ أسطول جنوة طريقه ... مؤذنا بمقدم أكبر كارثة طبيعية عرفتها أوروبا الموت الأسود"¹.

ثالثا- مواجهة الطاعون بين العوام والخواص:

قبل الخوض في الحديث عن الدور البشري في مواجهة الطاعون تجدر الإشارة إلى أن العامل الجغرافي والطبيعي كان له الأثر البارز في الحد من انتشار الطاعون وحصره في مناطق معينة وهذا بفضل الله عز وجل ككثرة السلاسل الجبلية التي تعزل المناطق عن بعضها وبالتالي تحد من انتقال العدوى من منطقة إلى أخرى، فساكن جبال الأطلس وجبال الريف وجبال القبائل يكونون في جمى عن الأوبئة المنتشرة في السهول المحيطة، وأيضا امتداد الصحاري على مساحات شاسعة في بلاد المغرب الإسلامي ساهم في الحد من انتشار العدوى خاصة أن الكثافة السكانية في الصحراء تميزت بالضعف مما يحد من كثرة الاحتكاك²، حيث يقول الوزان في هذا الصدد: "ويظهر الوباء في بلاد البربر (المناطق الشمالية) على رأس كل عشر سنوات أو خمس عشر أو خمس وعشرين سنة وعندما يأتي يذهب بالعدد العديد من الناس لأنه لا يهتم به أحد ولا يستعمل أي دواء باستثناء التمسح بالتراب الأرميني حول دمل الطاعون، ولم يظهر الوباء بينوميديا (المناطق الصحراوية) منذ مائة سنة ولم يظهر قط بأرض السودان"³.

شاع بين العوام أن الطاعون عقاب إلهي جماعي جراء انشغلا تهم بملذات الدنيا وارتكابهم المعاصي وابتعادهم عن تعاليم الدين الإسلامي⁴.

¹ روبرت. س. جوتفريد: المرجع السابق، ص 17.

² أحمد السعداوي: المرجع السابق، ص 127.

³ حسن الوزان: المصدر السابق، ج 1، ص 85.

⁴ أحمد العدوي: المرجع السابق، ص 45.

يقول السيوطي:

سلطة إله الخلق لما بهم تفشوا المعاصي والزنا

يكون شهادة في أهل الخير ورجسا للأولين بالشر بأؤوا¹.

ولم يكن هذا الاعتقاد سائدا عند المسلمين فقط بل ونجده أيضا عند غير المسلمين بأنه عقاب سماوي حيث كانت منهم فئة يهودية يجلدون أنفسهم للتكفير عن ذنوبهم².

مما أُلجأ إنسان بلاد المغرب الإسلامي للبحث عن حلول غيبية خاصة بعد عجز الطبيب عن مداواة الطاعون وهذا باعتراف الأطباء أنفسهم بأنه لا دافع له إلا الذي خلقه، وقد قال الطبيب أبو العلاء بن زهر: "هذا إذا وقع ليس لطبيب فيه مجال"³، ومن المرجح أن يكون محمد بن أحمد بن محمد بن عطا الله (ت853هـ) قد نظم أبياته أيام الطاعون ليحاكي هذا الاعتقاد:

إله الخلق قد عظمت ذنوبي فسامح ما لعفوك من مشارك

أغث يا سيدي عبدا فقيرا أناخ ببابك العالي ودارك⁴

وهذا ما يفسر استسلام لمغاربة إلى الأمر الواقع، فقد كان يرى العامة أن اللجوء إلى مشايخ الصوفية للتوسط بفضل بركتهم لدى الذات الإلهية، فهم كانوا يرونهم ملاذهم الأخير لمواجهة الطاعون⁵، رغم أننا لم نجد أي كرامة لأي ولي صوفي لمواجهة الطاعون مما يفسر عجز هؤلاء وهذا باعتراف أحدهم وهو ابن عباد

¹ السيوطي: رسالة في مرض الطاعون، ص37.

² Grand peste noir en France et du monde, 20mars 2020, 17/05/2020/h18;41.

³ ابن خاتمة: المصدر السابق، ص141.

⁴ التمبكتي: المصدر السابق، ص529.

⁵ حسين بوجرة: المرجع السابق، ص190.

(ت792هـ) صاحب الرسائل الكبرى الذي استقر ببلاد المغرب الإسلامي حيث أنه يقول أن أحد الآباء جاء بإناء فيه حنة وآخر فيه ماء ليرقي لأولاده الذين أصابهم الطاعون إلا أن رقيه لم تجد نفعاً، فقد فَعَدَ هذا الوالد أبنائه وكان ابن عباد قد حضر جنازتهم¹، وهناك من هؤلاء الأولياء من فضل العزلة مثلما قام به الفقيه ابن أبي مدين (من أهل القرن 8هـ) الذي بنى باب منزله على أهله وهم كثيرون أيام الطاعون².

كما نجد ابن حجلة التلمساني (ت776هـ) ذكر في كتابه دفع النقمة في الصلاة على نبي الرحمة بأن كثرة الصلاة على أشرف المرسلين صلى الله عليه وسلم تدفع الطاعون³.

ومما كان معمولاً به في تونس أيام الوباء قراءة صحيح البخاري وختمه اعتقاداً منهم بأن هذا الأمر نافع⁴.

ومن بين الشخصيات الفقهية التي عاشت هذا الطاعون في المغرب الإسلامي الفقيه ابن عرفة⁵ (ت803هـ) إمام جامع الزيتونة وشيخ المشايخ حيث أننا نلاحظ أنه لم يصدر أي فتوى في هذا الشأن⁶ باستثناء اقتصاره على مقاطعة حلقات الدرس لقول البرزلي (ت884هـ): "وحكي لي صاحبنا الفقيه أبو محمد السقيفي -رحمه الله- قال: كنا عقب الوباء الأول نقرأ الحوفية على سيدي الإمام -رحمه الله- بجامع باب البحر

¹ ابن عباد: المصدر السابق، ص.ص 289-290.

² ابن الخطيب: مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، ص.73.

³ ابن حجلة التلمساني: دفع النقمة في الصلاة على نبي الرحمة، ص.4 ب.

⁴ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر السابق، ص.122.

⁵ ابن عرفة(716هـ/1316م-803هـ/1400م): هو محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي إمامها وعالمها وخطيبها الإمام العلامة شيخ الإسلام تولى إمامة جامع الزيتونة عام 750هـ و تقدم لخطابته عام 772هـ وللفتوى عام 773هـ (التمبكتي: ص.ص 463-464)، ونفس التصرف كرره ابن عرفة في الطاعون اللاحق الذي ظهر بعد خمس سنوات -التغيب عن حلقات الدرس- ، ينظر الأبوي : المصدر السابق، ج 6 ص33-34.

⁶ حسين بوجرة: المرجع السابق، ص.341.

من تونس فكان يتخلف عنا كثيرا فقلت له يوما بغلظة البربر ما يحل لك هذا وذكرت له الحديث فغضب وقال: مثلكم يحل لي أن لا نقرئه لأنكم تعلمون المزية على ما تقرؤون عليه، وهذا إهانة للعلم¹.

وعلى العكس من ذلك نجد الفقيه والد ابن قنفذ القسنطيني المتوفى 750هـ الذي ألف كتابا أجاب فيه عن تساؤلات بعض طلبته سماه {المسنون في أحكام الطاعون}².

ويذكر لنا ذو الوزارتين أن هنالك من الفقهاء المغاربة الذين أفتوا بعدم وجود عدوى، ثم تراجعوا عن فتوهم خوفا من إلقاء الناس إلى التهلكة³، كما ذكر لنا عن الزاهد ابن أبي مدين (من القرن 8هـ) بمدينة سلا أنه كان من القائلين بالعدوى وقد بنى باب منزله على أهله وفنيت المدينة ولم يرزأ نسمة واحدة⁴.

وهنالك من الفقهاء من أوقف أملاكه أيام هذا الطاعون حيث يورد لنا الونشريسي عقدا موثقا في ثلاثين محرم عام خمسين وسبع مائة أن أحد الفقهاء أوصى بعد موته أن تقسم ثرواته بين بني أبنائه ولم ينسى نصيب الفقراء والمساكين بفاس بأن لهم نصيب في هذه الثروة⁵.

والى جانب غياب دور الأطباء في بلاد المغرب الإسلامي في الأسطوغرافيا التاريخية المغربية التي لم تتحدث عن دور أي طبيب مغربي في مواجهة الطاعون نفس الشيء نجده مع السلطة.

¹ أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي (ت841هـ): جامع مسائل الأحكام لما نزل بالمفتين والحكام، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002م، ج6، ص393.

² ابن قنفذ القسنطيني: الوفيات، ص.ص 355-356.

³ ابن الخطيب: مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، ص75.

⁴ نفسه، ص73.

⁵ الونشريسي: المصدر السابق، ج7، ص.ص 24-25.

رابعاً - التأثير الديموغرافي والذهني لطاعون منتصف القرن الثامن

الهجري الرابع عشر ميلادي:

1- التأثير الديموغرافي:

يصعب علينا تحديد الإحصائيات الديموغرافية التي ترتبت عن وباء الطاعون الوافد في بلاد المغرب الإسلامي، ويعود ذلك إلى عدة أسباب نذكر أهمها:

- عدم توفر تقنيات إحصائية في الحقبة الوسيطة لرصد عدد السكان.
- عدم تطور الإدارة المغربية في العصر الوسيط أيضا كان له دور كبير في العجز عن تقديم الإحصائيات حتى ولو كانت تقريبية.
- وقد تكون كثرة عدد السكان والبنية القبلية سببا آخر في هذه المعضلة¹، وقد عبر ابن خلدون عن ذلك بقوله: "إن هؤلاء البربر جيل وشعوب وقبائل أكثر من أن تحصى"².

هذه الأسباب شملت المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط زمانا ومكانا حتى في أيام الرخاء فما بالك في أيام الأزمة والشدة، فما يمكن أن يتحصل عليه الباحث نصوصا تتضمن بعض الأرقام التقريبية قد تساعد في إنارة بعض المساحة من هذا الجانب المعقد في الدراسات التاريخية المغربية، وقد قسم الأستاذ الباحث المغربي إبراهيم القادري بوتشيش المعطيات الإحصائية إلى صنفين معطيات انطباعية وأخرى رقمية، وهذا ما ينطبق على المعطيات التي تمكنا من الوصول إليها بخصوص التأثيرات الديموغرافية لوباء الطاعون الجارف:

¹ إبراهيم القادري بوتشيش: "أثر قيام الدول وسقوطها في التطور الديموغرافي بالمغرب في العصر الوسيط" دراسة حالة، مجلة كنانيش، وجدة، المغرب، ع1، 1999م، ص41.

² ابن خلدون: العبر، ج6، ص139.

أ- معطيات انطباعية: وهي النصوص التي لا تنطبق ولغة الأرقام لكنها تعطي انطبعا تشكل في ذهنية المؤرخ غالبا ما تكون مفيدة في معرفة حجم ساكنة المغرب كثرة أم قلة، وتكشف الخطوط العريضة للتطور الديموغرافي¹، وخلال بحثنا استطعنا الوصول إلى بعض المعطيات الانطباعية في ثنايا المصادر الوسيطية التي أوجت لنا ببعض المعلومات أن النتائج التي خلفها الطاعون كانت خسائر وخيمة في جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية...، وأن الخراب قد عم المدن، وقد خلت الديار واندثرت القرى ومات الحرفيون والعمال والفلاحون، وهذا ما يتضح من خلال قول ابن خلدون الذي عايش الحدث: "هذا ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم وذهب بأهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها وجاء الدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها، فقلص من ضلالها وفل من حدها واوهن من سلطانها وتداعت إلى التلاشي واضمحلال أموالها وانتفض عمران الأرض بانتفاض البشر، فخربت الأمصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبه ومقداره عمرانه وكأنما نادى لسكان الكون في العالم بالخمول والانقباض فبادر بالإجابة والله وارث الأرض ومن عليها"²، وقال أيضا: "جاء الطاعون الجارف فطوى البساط بما فيه"³.

¹ إبراهيم القادري بوتشيش: أثر قيام الدول وسقوطها فالتطور الديموغرافي بالمغرب في العصر الوسيط، ص.ص. 41-46.

² ابن خلدون: المقدمة، ص.ص. 42-43.

³ ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ص.45.

وكما قال الرحالة ابن بطوطة (ت779هـ) لما رجع من المشرق إلى بلاده: "بأن الخراب استولى على مراكش"¹.

وقول المقرئزي (ت845هـ): "عم الموتان إفريقية بأسرها جبالها وصحاريها ومدنها وجافت من الموتى"².

كما وصف لنا ابن عباد (ت792هـ) الطاعون وهو يلتمهم الأجساد، وقال في هذا الصدد: "يموتون بالطاعون الذي يتخطفهم واحدا واحدا وجماعة جماعة"³.

وبما أن الفئة الفقيرة هي الأكثر تضررا من الطاعون فبالتأكيد سيكون لها دخل مباشر في شل الاقتصاد باعتبار هذه الفئة هي المحرك له في مختلف القطاعات: التجارية والفلاحية والحرفية، فقد وصف لنا ابن عباد أحد الأسواق المغربية -سوق شلة- أيام الطاعون بعدما كانت من أنشط الأسواق بالمغرب وكانت تعقد مرتين بالسنة واصفا إياها بأن لا تكاد تسمع فيها بأذن من كثرة الصياح والضجيج، ولكن هذا في وقت سابق وأما اليوم فهي بمنزلة أحد أسواق الغبار الضعيفة التي تكون في البوادي⁴، نرصد هنا عن بعض المعطيات التي أشارت إلى خلاء البادية من أهلها لقول المقرئزي: "بقيت أموال العُربان سائبة لا تجد من يرعاها"⁵.

وإلى هجرة بعض القبائل العربية من إفريقية إلى بلاد الفرنج طمعا في جمع الأموال وهذا حسب تعبير المقرئزي⁶، وما يفسر اقتران الطاعون بالجوع هو اشتداد الغلاء فقد أشار ابن عباد في هذا الصدد إلى أن الضعفاء والمساكين كانوا يموتون

¹ ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2، ص670.

² المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ص84.

³ ابن عباد: المصدر السابق، ص180.

⁴ نفسه، ص161.

⁵ المقرئزي: المصدر نفسه، ص84.

⁶ نفسه، ص83.

بالجوع والبرد وأكثرهم الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم هم الأكثر عرضة للطاعون والأغنياء من الناس يشاهدونهم على هذه الحال ولا تسمح لهم نفوسهم الشحيحة بمساعدة الفقراء والإحسان إليهم¹، وما جاء أيضا على لسان ابن الشماخ (ت بعد 861هـ): "اشتد القلق في الطعام فبلغ قفيز القمح ثمانية دنانير كبيرة والشعير على الشطر على ذلك وكثر الوباء"²، وما جاء أيضا على لسان ابن عباد: "وحتى الشعير الذي لم يكن يلتفت إليه أصبح اليوم لا يجده إلا أبو فلان وأما القمح أصبح من جملة الأدوية التي يصفها الطبيب للمرضى³ وصاع الحنطة أصبح خمسة عشر درهما بعد أن كان عشر دراهم والباكور كان أربعين بدرهم أصبح عشرين أو أقل بدرهم"⁴.

ويحسن التنبيه إلى أن المناطق العامرة بالسكان ويقصد بها الحواضر التي كانت أكثر عرضة لعدد الإصابات والوفيات، ويرجع ذلك إلى الاكتظاظ والكثافة السكانية المرتفعة، وهذا الذي عبر عنه ابن خلدون بقوله: "إن الموتان يكون في المدن الموفورة العمران أكثر من غيرها بكثير كمصر بالمشرق وفاس بالمغرب والله يقدر ما يشاء"⁵.

ومن بين التأثيرات التي خلفها هذا الطاعون هجرة القبائل إلى المناطق التي خلت من الساكنة بعد عصف الطاعون بأهلها وهذا ما يعبر عنه ابن خلدون: "تبدل الساكن"⁶، ومن أمثلة تلك المناطق التي تغير سكانها إقليم السوس حيث ارتحلت إليها

¹ ابن عباد: المصدر السابق، ص166.

² أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماخ (ت 861هـ): الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، دم، 1984، ص98، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص139.

³ ابن عباد: المصدر نفسه، ص295.

⁴ نفسه، ص278.

⁵ ابن خلدون: المقدمة، ص377.

⁶ نفسه، ص43.

قبيلة حربيل -وهم من قبيلة لمتونة وكدالة- عبر الصحراء وذلك نتيجة الخلاء الذي حل بهذا الإقليم¹.

ب- **معطيات رقمية:** تتميز هذه النصوص بأنها أكثر أهمية لما تتضمنه من أرقام إحصائية تقريبية خاصة إذا التزم الباحث بمراجعتها ومقارنتها تجنباً للسقوط في مزلق ومبالغات المؤرخين²، ومن خلال بحثنا استطعنا الوصول إلى بعض المعطيات في ثنايا المصادر الوسيطية التي أعطتنا معطيات رقمية لبعض المدن، بأنه هلك بتونس ألف نسمة ومائتان ونيف، وبتلمسان سبعمائة نسمة³، وبفاس أربعة آلاف⁴، وببرقة مائة شخص⁵، وذكرت الألف مرة أخرى بتونس عند ابن الشماخ وابن أبي دينار⁶.

ونذكر من بين ضحايا الطاعون بعض الأعلام:

*محمد بن عبد الله بن عبد النور الندرومي أبو عبد الله الفقيه: قاضي فاس وقاضي عسكر أبي الحسن المدني قال فيه ابن خلدون كان مبرز في الفقه على مذهب مالك، توفي بتونس بالطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبعمائة⁷.

*أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري التونسي: قاضي الجماعة وعلامتها بتونس الفقيه القوال بالحق، المتبحر في العلوم النقلية والعلوم العقلية¹، وقد منح ابن خلدون إجازة علمية².

¹ محمد المختار السوسي: إيليج قديما وحديثا، تعليق: محمد بن عبد الله الروداني، المطبعة الملكية بالرباط، المغرب، 1386هـ/1966م، ص.ص 239-240.

² إبراهيم القادري بوتشيش: أثر قيام الدول وسقوطها في التطور الديموغرافي بالمغرب في العصر الوسيط، ص.46.

³ ابن خاتمة: المصدر السابق، ص.143.

⁴ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر السابق، ص.ص 163-164.

⁵ المقرئزي: المصدر السابق، ج.4، ص.84.

⁶ ابن الشماخ: المصدر السابق، ص.98، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص.139.

⁷ التتبعتي: المصدر السابق، ص.405.

*شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر بم محمد القيسي الواد ياشي: الواد آشي الأصل التونسي المولد والاستيطان المعروف بابن جابر صاحب الرحلتين وإمام المحدثين الفقيه المسند الرواية المتقن النظار عظيم الأبهة والوقار أخذ العلم عن جماعة من المشرق والمغرب³، وهو أستاذ ابن خلدون الذي أعطاه إجازة علمية⁴.

*الخطيب حسن بن علي: والد بن قنفذ القسنطيني درس على جملة من الأشياخ المجتهدين ومن تأليفه المسنون في أحكام الطاعون، والمسائل المسطرة في النوازل الفقهية، توفي سنة خمسين وسبع مائة⁵.

*أبو عبد الله محمد بن هارون: الفقيه المفتي بتونس وشارح مختصره - مختصر بن الحاجب الأصلي والفرعي⁶.

والملاحظ بعد ملامستنا للأصول الوسيطية أنها همشت فئة العامة وهذا ما نعرفه عن الأسطوغرافيا المغربية أنها تهتمش العوام وتهتم بأهل السيف والقلم.

¹ محمد بن محمد بن عمر بن قاسم بن مخلوف (ت1360هـ): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق: عبد

المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ج1، ص301.

² ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ص39.

³ ابن مخلوف: المصدر نفسه، ص302.

⁴ ابن خلدون: المصدر نفسه، ص39.

⁵ ابن قنفذ: الوفيات، ص.ص 355-356.

⁶ نفسه، ص.ص 353-354.

2-التأثير الذهني:

يُعرف التاريخ الذهني على أنه وجه من وجوه التاريخ الاجتماعي¹، فقد كان هذا التاريخ من اختصاص الأنثروبولوجيين والسوسيولوجيين لكنه تحول إلى حقل مهم من حقول البحث التاريخي وأداة لفهم نفسية المجتمع الإسلامي².

وإن كان التأثير الذهني يسير ضمن الأمد الطويل إلا أن موضوع بحثنا استوجب علينا التركيز على القرنين الثامن والتاسع الهجريين والرابع عشر والخامس عشر الميلاديين.

كان للطاعون الأسود تأثيرات مست مختلف الأصعدة وإلى جانب التأثير الديموغرافي الواضح نجد أن التأثير الذهني كان له الأثر الكبير، وهذا التأثير لم يقتصر على فئة محددة في المجتمع بل شمل جميع الشرائح الاجتماعية عامتها وخاصتها.

2-1 - العوام:

*ترسخ في ذهنية العوام من المغاربة سلوك الاستسلام عند ظهور الطواعين التي تلت طاعون منتصف القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، إذ نجد أنهم أصبحوا لا يهتمون به على حد تعبير الحسن الوزان: "ويظهر الوباء في بلاد البربر على رأس كل عشر سنوات أو خمس عشر أو خمس وعشرين سنة وعندما يأتي يذهب بالعدد

¹ جاك لوغوف: التاريخ الجديد، ترجمة وتحقيق: محمد الطاهر المنصوري، مراجعة: عبد الحميد هنية، ط1، المطبعة العربية، بيروت، لبنان، م2007، ص281.

² إبراهيم القادري بوتشيش: "تجديد التاريخ الإسلامي كيف ومن أين يبدأ؟"، مجلة الاجتهاد، لبنان، ع22، ص06، 1414هـ/1994م، ص142.

العديد من الناس، لأنه لا يهتم به أحد ولا يستعمل أي دواء باستثناء التمسح بالتراب الأرميني"¹.

*استمر الاعتقاد بالولي في ذهنية المغاربة خلال أيام الأزمات².

*ومن بين التأثيرات السلبية التي نجمت عن الطاعون ازدياد عمليات النهب والسلب وجاء ذلك نتيجة لغلاء المعيشة، وهذا ما يتجلى في قول المقرئزي: "وعم الموت أهل جزيرة الأندلس.... حتى لم يبق الفرنج ومن يمنع أموالهم فأتتهم العرب من إفريقية تريد أخذ الأموال...."³.

2-2- الخواص:

أما بالحديث عن فئة الخواص (وهم الفقهاء والأطباء والسلطة السياسية والمؤرخين) فإن تأثيرهم بهذا الوباء تجسد في عدة أفكار وسلوكيات:

2-2-1- على مستوى التأليف: وهي من أبرز التأثيرات التي ولجت في أذهان

الخاصة من المجتمع الوسيطيين الذين ألفوا في الطاعون:

-**الفقه:** ألف والد ابن قنفذ القسنطيني حسن بن علي (ت750هـ) كتاب المسنون

في أحكام الطاعون الذي كان عبارة عن أسئلة طلبته حول مسألة الفرار من الطاعون⁴.

*كما ألف الفقيه التونسي محمد الرصاع سنة (896هـ/1481م) كتاب أجاب

فيه عن أسئلة الفقيه الغرناطي محمد المواق (ت798هـ/1492م) حول مسائل تختص

¹ الحسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص85.

² المقرئزي: المصدر السابق، ج4ن ص83.

³ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر السابق، (خاص بالمحقق)، ص.ص 59-60.

⁴ ابن قنفذ القسنطيني: الوفيات، ص.ص355-356.

بالطاعون (أسباب الطاعون، مسألة الفرار والدخول إلى الأرض الوبيئة العدوى) وعنوان هذا الكتاب الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية¹.

*وهناك من الفقهاء من لم يخصص مؤلفا مستقلا بهذا الموضوع غير أنه أشار إليه في جزء من كتابه، ومثال ذلك الفقيه المغربي الأبى المتوفى سنة (827هـ) الذي تحدث عن الاحتراز من الطاعون في شرحه لصحيح مسلم في الجزء الخاص بكتاب الطاعون وباب لا عدوى، ومستندا في رأيه برأى القرطبي وهذا ما يتجلى في قول الأبى: "وعله القرطبي بما تقدم وعلى مقتضى تلك العلة ينبغي الكف عن الدخول لدرة تلك العلة"، كما استند أيضا لعمل شيخه ابن عرفة حينما انقطع عن التدريس بعد أن أحد طلبته توفي بالطاعون فذهب إليه الأبى وعرض عليه الرجوع للتدريس فقال ابن عرفة أليس الوباء وقع عندكم وذكر له أحاديث في النهي عن القدوم إلى الأرض الوبيئة وحديث فر من المجذوم فرارك من الأسد².

-**الطب:** ونجد أيضا بأن هناك مؤلفات مغربية ألفت في مجال الطب ومن أمثلة

ذلك كتابي:

*المقالة الحكيمة في الأمراض الوبائية لابن هيدور التادلي³ (ت816هـ/1413م)

الذي تحدث عن عوامل وأسباب الطاعون وقسمها إلى قسمين عوامل طبيعية وبدورها تنقسم إلى قسمين مناخية وأخرى طبية وعوامل بشرية بفساد الأغذية خاصة تلك

¹ محمد المواق، محمد الرصاع: الأجوبة عن الأسئلة الغرناطية.

² الأبى: المصدر السابق، ج5، ص.ص 30-37.

³ ابن هيدور التادلي هو عبد الله بن محمد بن هيدور التادلي إمام الفرائض والحساب له شرح على تخيص ابن البناء في الحساب وتقييد على رفع الحجاب، وكان كثير التقييد وله خط رائق ومشارك في فنون شتى، توفي بمجاعة كانت بتونس سنة ست عشر وثمانمائة (الشريف أبى عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثه الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، ج3، ص397.

المستعملة زمن المجاعات وغلاء الأسعار فيضطر بالإنسان إلى تناول غذاء غير مألوف للطبيعة.

وتحدث أيضا عن علاج الطاعون ومداواته:

-العلاج بطريقة أسرار الحروف بالدعاء المأثور.

-العلاج بالطريقة الطبية.

وقد ميز ابن هيدور بين الوباء والمرض فإن كان بسرعة وعم جميع الناس هذا هو الطاعون الوبائي وسمي أيضا المرض الوافد، وإن كان بمهلة وغير عام فسمي مرضا شخصيا جزئيا.

ولم يتطرق لمسألة العدوى، وقد تأثر ابن هيدور بالطبيب الأندلسي ابن خاتمة¹، وهناك أربع نسخ لهذا التأليف الأولى في خزانة محمد عبد الهادي المنوني والثانية في مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، والثالثة في الخزانة الحسينية بالرباط رقم 9605 ، والرابعة في دار الكتب المصرية².

*الطب في تدبير المسافرين ومرض الطاعون لعبد القاهر بن محمد بن عبد الرحمان التونسي المتوفى بعد سنة (899هـ/1493م) وهو مخطوط بإحدى مكتبات استمبول³.

-المؤرخين: من الملاحظ أن مؤرخي العصر الوسيط من المغاربة لم يولوا اهتماما بالكتابة حول الطاعون، إذ أننا نجدهم يشيرون إليه في سياق حديثهم عن مواضيع أخرى ذات طابع سياسي وعسكري.

¹ حسين بوجرة: المرجع السابق، ص.ص 357-366.

² ابن الخطيب: مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، (خاص بالمحققة)، ص.ص 25-26.

³ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر السابق، (خاص بالمحقق)، ص.53.

لا يختلف اثنان في القيمة التاريخية التي يكتسيها كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في التاريخ الإسلامي عموماً وفي تاريخ المغرب الإسلامي على وجه الخصوص نظراً لشموليته، وعلى الرغم من تعدد الدوافع والأسباب التي جعلت ابن خلدون يؤلف هذا الديوان إلا أن الباحث المغربي علي أومليل يلخص أسباب التأليف في دافعين أساسيين الطاعون الجارف لسنة (749هـ/1349م) إضافة إلى دخول البدو العرب إلى المغرب في أواسط القرن الخامس الهجري¹.

يذكر لنا الباحث التونسي محمد حسن أن من بين التأثيرات الذهنية لهذا الطاعون الاهتمام بالتأليف في مجال التصوف، حيث قدم لنا مثالين أنس الفقير وعز الحقير لابن قنفذ القسنطيني وشفاء السائل وتهذيب المسائل لابن خلدون²، وحسب رأينا فإن هذا القول لا يصح فلا وجود لارتباط واضح بين سبب هذين التأليفين والطاعون ودليل ذلك أن كتاب أنس الفقير وعز الحقير هو ترجمة لحياة الصوفي أبي مدين شعيب المتوفى سنة (594هـ/1198م) دفين تلمسان، أما سبب تأليف ابن خلدون لكتاب شفاء السائل وتهذيب المسائل كما ذكره في مقدمة كتابه هو قصد بعض أصحابه له بأن يكتب كتاباً يبين فيه إجابة عن سؤالهم مفاده هل يصح للطالب المرید أن يسلك سبيل التصوف وحده دون شيخه أم أنه لابد من شيخ يقيه الفتن التي تصده عن الطريق الصواب³، ومن المعلوم أن التأليف في التصوف في بلاد المغرب كان شائعاً قبل هذا التاريخ إذ نجد أنه بداية تزامنه مع عصر الدولة الموحدية.

¹ الحسين الفرقان: المرجع سابق ص314.

² محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر السابق، (خاص بالمحقق)، ص60.

³ ابن خلدون: شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1417هـ/1996م، ص.ص 34-35.

2-2-2- الاعتقاد في الولي:

***السلطة الحاكمة:** إلى جانب العامة فإننا نجد أيضا فئة الخاصة قد اعتقدوا في الولي وهذا نتيجة للآزمات المتتالية والأوبئة الدورية، حيث كثر التذمر من الزمان وسيطر الشعور باقتراب الكون وساد الخوف والرعب والتوتر النفسي مما ساعد على انتشار الطرق والزوايا في المجتمع التي لم تعد مقتصرة إلا على بعض الفئات كما كان في القرن السابع الهجري بل شملت عديد الشرائح الاجتماعية بما في ذلك السلطان والفقهاء¹.

فقد كان حكام المغرب الإسلامي يعتقدون بالأولياء ويقدرونهم ويحترمونهم ويتقربون إليهم بمختلف الوسائل لنيل بركتهم حتى أبنائهم كانوا يولونهم هذا الاحترام، وقد عمت ظاهرة التصوف عند ملوك بني زيان في تقديس الأولياء والجماعات الصوفية والحرص على زيارتهم ابتداء من عميدهم وجدهم يغمراسن الذي كان معجبا بالصوفية².

الفقهاء: يذكر الباحث التونسي محمد حسن أن الفقيه ابن عرفة كان يعتقد في الأولياء مستندا إلى قوله: "ما أدركت مبرزا إلا شخصين سيدي أبو الحسن المنتصر بتونس وسيدي أبو العباس ابن عاشر بسلا"³.

وكذلك الفقيه الرصاع هو الآخر كان يعتقد بالأولياء حيث أنه يسرد حكاية هو الآخر نقلها عن شيوخه حيث كانوا ينقلون من كرامات الشيخ العالم العارف بالله سيدي أبو عبد الله محمد الظريف رحمه الله أنه أتى إليه رجل اسمه الأمين الربيعي وكان

¹ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر السابق، (خاص بالمحقق)، ص 59-60.

² عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ج 1، ص 389-390.

³ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر نفسه، (خاص بالمحقق)، ص 60.

صاحب وجاهة فمرض ولده بداء الوباء وعجز الأطباء عن علاجه بل انتفخوا على موته فأتى إلى باب الله وانقطع إلى الله ووقف على باب دار الشيخ ولي الله وشكى له، فلما رأى الشيخ ما به رقت نفسه ثم قال له: "استوهبت ولدك من الله فوهبه لي فرجع الأب لولده، فوجده قد شفاه الله وبقي اثنا عشر عاما بعد ذلك"¹.

والمرجح أن المقصود بهذا الوباء هو طاعون منتصف القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، والحقيقة أنه بالتماسنا كتب الولاية والتصوف لم نجد أي كرامة لأي ولي صوفي بخصوص الطاعون.

*كما ظهرت أفكار دخيلة تداولها المغاربة لم تكن مألوفة، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر:

-دعاء الفقيه المالكي ابن عرفة الذي كان يعلمه لتلاميذه يحتوي كلمات أعجمية: "اللهم سكن فتنة صدمة قهرمان الجبروت بألطف أطافك الخفية النازلة الواردة من باب الملكوت حتى نتشبت بلطفك ونعتصم بك عن إنزال قدرتك يا ذا القدرة الكاملة والرحمة الشاملة يا ذا الجلال والإكرام ثم يقول بعد إتمام هذا الدعاء ألفاظ أعجمية إِيُومِي دُومِي مَرْبَطْرِي كُنَّا سَنَدَام مَمْنُؤًا بِنُطَاس²، ويقول الرصاع علم عن من نقل عنه الحديث أن هذه الكلمات من أسماء الله الحسنى، وعدم إصدار الفقيه ابن عرفة لأي فتوى بخصوص الطاعون على الرغم من منصبه الرفيع إمام وخطيب جامع الزيتونة حيث أنه اكتفى إلا بالانقطاع عن حلقات الدرس أيام الطاعون بطرح عدة تساؤلات أهو جبن منه؟ مثلما قال الباحث التونسي حسين بوجرة³ أو خوفا من السلطة على اعتبار منصبه الذي يكتسي طابعا سياسيا أيضا.

¹ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر نفسه، ص126.

² نفسه، ص119.

³ حسين بوجرة: المرجع السابق، ص357.

-ومن بين هذه الأفكار ما قام به الفقيه الرصاع حيث أنه حكى عن تجربته الشخصية في طاعون (873هـ/1468م) بأنه جمع مائة صفة من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم وفي نهاية كل صفة يختتمها بذكر الصلاة على الرسول والبركة والرحمة والتحنن أو السلام وفي نهاية كل مائة صفة يكرر نفس العمل مع الدعاء ثم بعث بها إلى أحد شيوخه وأصبحت تقرأ عند كل يوم جمعة، ويقول الرصاع فكان في ذلك بركة عظيمة لنا ولأهلنا وللمسلمين والحمد لله¹.

على الرغم من أن موضوع دراستنا أُطر زمنيا بالقرنين الثامن والتاسع الهجريين، غير أنه من المعلوم أن تاريخ الذهنيات والذي شكل جزءا مهما من البحث يدخل ضمن تاريخ الأمد البطيئ والطويل للتاريخ، وهذا ما يدل عليه قول الباحث المغربي محمد حبيدة: "إن المجتمع المغربي بمختلف المستويات والعلاقات بين الإنسان والمجال وتقنيات زراعية وحرفية وأطر للعيش اليومي كالأغذية واللباس والسكن وشكل ممارسة السلطة والعلاقات بين الحاكمين والمحكومين وبين الشرائح الاجتماعية وبين الرجال والنساء والآباء والأبناء والطقوس الدينية والأفكار الموجهة للمجتمع وعقليات الناس وسلوكاتهم ومواقفهم من الحياة والموت، كل ذلك يدخل ضمن تاريخ بطيئ السيل والتحول مكون في الغالب من رجوعات مُلحة وحلقات متكررة باستمرار، وذلك منذ تكون المغرب الوسيط إلى غاية النظام الاستعماري"².

وهذا ما يمكن إسقاطه على موضوع بحثنا أي أن ذهنية الإنسان المغربي إزاء الطاعون لم تتغير منذ بداية العصر الوسيط حتى ظهور الاستعمار التقليدي وليس

¹ محمد المواق، محمد الرصاع: المصدر السابق، ص117.

² محمد حبيدة: "كتابة تاريخ المغرب وتحقيب الزمن الطويل"، ضمن الكتاب الجماعي: التأريخ العربي وتاريخ العرب كيف كتب وكيف يكتب؟ الإجابات الممكنة، إعداد وتنسيق: وجيه الكوثراني، ط1، ضمن أعمال المؤتمر السنوي الثالث للدراسات التاريخية، المنعقد ببيروت، بتاريخ 20-24/04/2016م، الدوحة، بيروت، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، ص.ص456-457.

ذلك فحسب بل إن جائحة كورونا أبانت وأثبتت أن ذهنية الإنسان عموماً والمغربي على وجه الخصوص لم تطرأ عليها تغيرات كثيرة نظراً لتشابههما الكبير مع ذهنية المغربي الوسيطى (أسباب كورونا، مدى تطبيق الحجر الصحى، الاستسلام، مواجهة الوباء، مسألة العدوى، إحصائيات الضحايا ...).

الختامة

من خلال ما تناولناه في دراسة الطاعون الجارف و تأثيره الديمغرافي و الذهني على إنسان بلاد المغرب الإسلامي إلى تمام القرن 9/هـ 15م اتضح لنا مايلي:

- الطاعون الجارف شمل بلاد المغرب الإسلامي بمدنه وأريافه وكان فتاكا من النوع الرئوي.

- إن المصادر المغربية لم تميز بين مصطلحي الوباء والطاعون -وهذا ماالتمسناه عند -ابن عذاري- حتى جاء طاعون منتصف القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي الذي كان حدا فاصلا لهذه النقطة على حد تعبير بعض المؤرخين المعاصرين لكن لا نستطيع تعميم هذه الفكرة لأنه بالتماسنا لبعض كتب الأخبار والفقهاء وجدنا بأن بعض المؤرخين بقي يعبر على الطاعون بمصطلح الوباء -الزركشي- وكذا عند بعض الفقهاء كالأبي.

- لقد استعصى على الأطباء إيجاد علاج للطاعون وسلموا بفكرة أنه لا دافع له إلا الذي خلقه، وذهبوا فقط إلى إيجاد حلول للوقاية منه.

- أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث شريفة عن وباء الطاعون.

- كان هناك جدال واسع بين الفقيه والطبيب حول أسباب الطاعون حيث أرجع هذا الأخير السبب إلى فساد الهواء أما الفقيه فقد أرجعه إلى وخز الجن وذلك انطلاقا من فهمه لأحاديث وردت بخصوص الطاعون بأنه وخزمن الجن وأن أجر المصاب به الشهادة، كما شكلت مسألة العدوى جزءا كبيرا من هذا الجدل.

- من الموضوعية في الكتابة التاريخية أن يقف الباحث على مسافة بين الآراء المطروحة، إلا أننا ركنا إلى الأفكار التي طرحها ابن خاتمة حيث تظهر قيمة دراسته في تناول الموضوع بطريقة علمية دون أن يغفله ذلك إلى الاستناد على الجانب الشرعي.

- إن التسمية الشائعة للطاعون في العالم هي "الموت الأسود" رغم أن هذه التسمية أطلقها الغربيون في القرن 16م على طاعون القرن 14م ليتداول استعمالها حتى القرن 19م والملاحظ أن العرب أطلقوا عدة تسميات على هذا الطاعون وكانت متزامنة معه إلا أنه لم يتم الأخذ بها ولا يفهم طاعون موضوع البحث إلى بمصطلح الموت الأسود وهذا ما يؤكد تأثرنا بالغرب حتى في استعارة هذا المصطلح.

- إن صعوبة الدراسات الديموغرافية تعود إلى نقص الوثائق.

- إن المصادر المغربية لم تتناول موضوع هذا الطاعون إلا في شذرات متناثرة على عكس المصادر المشرقية التي وصفت المشهد هناك بوصف دقيق متبع بإحصائيات رغم أن الموضوع واحد.

- كان للطاعون تأثيرا سلبيا مس جميع المستويات :

إجتماعيا: إنتشار عمليات النهب والسلب ، إنتشار المجاعة والفقر.

إقتصاديا: الطاعون يكون أكثر فتكا بالفئة الفقيرة والضعيفة وذلك لما يتلازم معه من غلاء ومجاعة ، وهذا طبعا يؤثر على الجانب الاقتصادي باعتبار هذه الفئة هي اليد المحركة له في جميع جوانبه الفلاحية والحرفية والتجارية.

ثقافيا:موت العديد من العلماء وطلبة العلم ،توقف الرحلة العلمية وهذا استنادا إلى ما قاله ابن خلدون: "ولم أزل منذ نشأت وناهزت مكبا على تحصيل العلم حريصا على اقتناء الفضائل منتقلا بين دروس العلم وحلقاته إلى أن جاء الطاعون الجارف وذهب بالأعيان والصدور وجميع المشيخة وهلك أبواي رحمهما الله"¹.

عمرانيا:خلت الديار واندثرت القرى وخربت المصانع والمعالم خاصة بالمدن الساحلية لأنها كانت الأكثر تضررا بالطاعون .

¹ ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ص.ص 64-65.

ديموغرافيا: لانتوفر على أرقام تحيلنا على أعداد الذين ماتوا في هذا الطاعون إلا عن بعض المناطق، فإن أغلب الإشارات التي وجدناها في ثنايا المصادر توحي بأن المشهد كان كارثيا، كما كانت هناك بعض القبائل ترحل إلى المناطق التي خلت من الساكنة بعد أن عصفت الطاعون بأهلها - وهذا ما عبر به ابن خلدون: "تبدل الساكنة".

- فإننا نجد هنا أنفسنا أمام العديد من العوامل التي كرسنا إلى تخلف بلاد المغرب الإسلامي التي كان سببها وباء الطاعون الجارف.

- سيطرة الشعور بالخوف على إنسان بلاد المغرب الإسلامي، ولم يكن هذا عند العامة فقط بل نلتمس ذلك عند الفقهاء والسلطة.

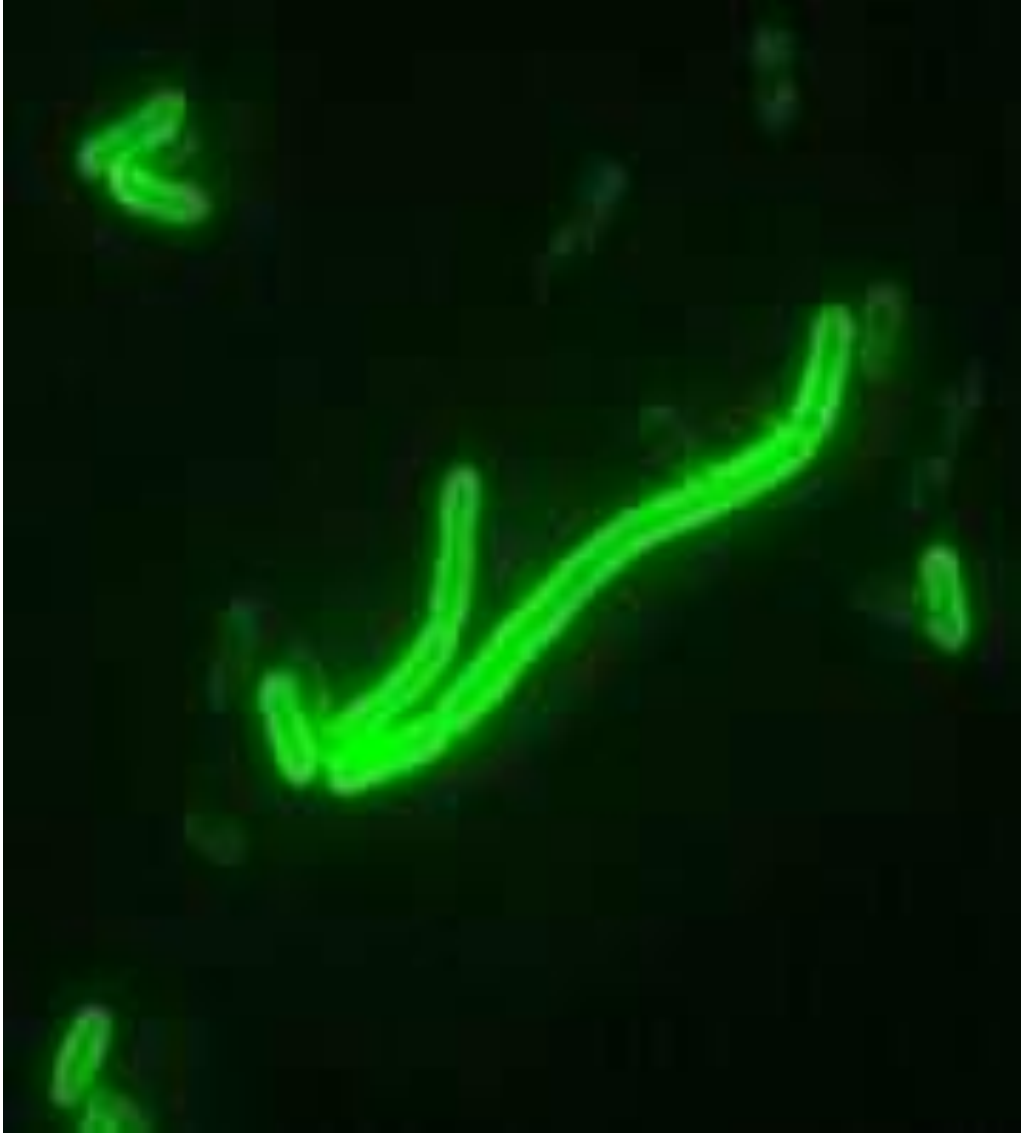
- لم نجد مؤلفا خاصا بالطاعون - إلى تمام القرن 9هـ/15م - حيث نجد الفقيه الرصاع المالكي قد أطنب الحديث عنه في كتابه الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية لكنه اعتمد على فقهاء مشاركة شافعيين.

- أشار ابن خلدون الذي عايش هذا الطاعون وما بعده بأن هذا الطاعون إيذانا بتحول شامل عم أوضاع العالم و كان بمثابة مؤشر على تحول العالم من عالم قديم إلى عالم جديد مستحدث يستحق التأريخ له، وهذا ما يظهر جليا في قوله: "وإذا تبدلت الأحوال جملة فكأنما تبدل الخلق من أصله وتحول العالم بأسره وكأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث فاحتاج لهذا العهد من يدون أحوال الخليقة والآفاق وأجيالها والعوائد والنحل التي تبدلت لأهلها"¹.

¹ ابن خلدون: المقدمة، ص43.

الملاحق

الملحق (01): صورة مجهرية للبكتيريا ييرسينا المسببة للطاعون



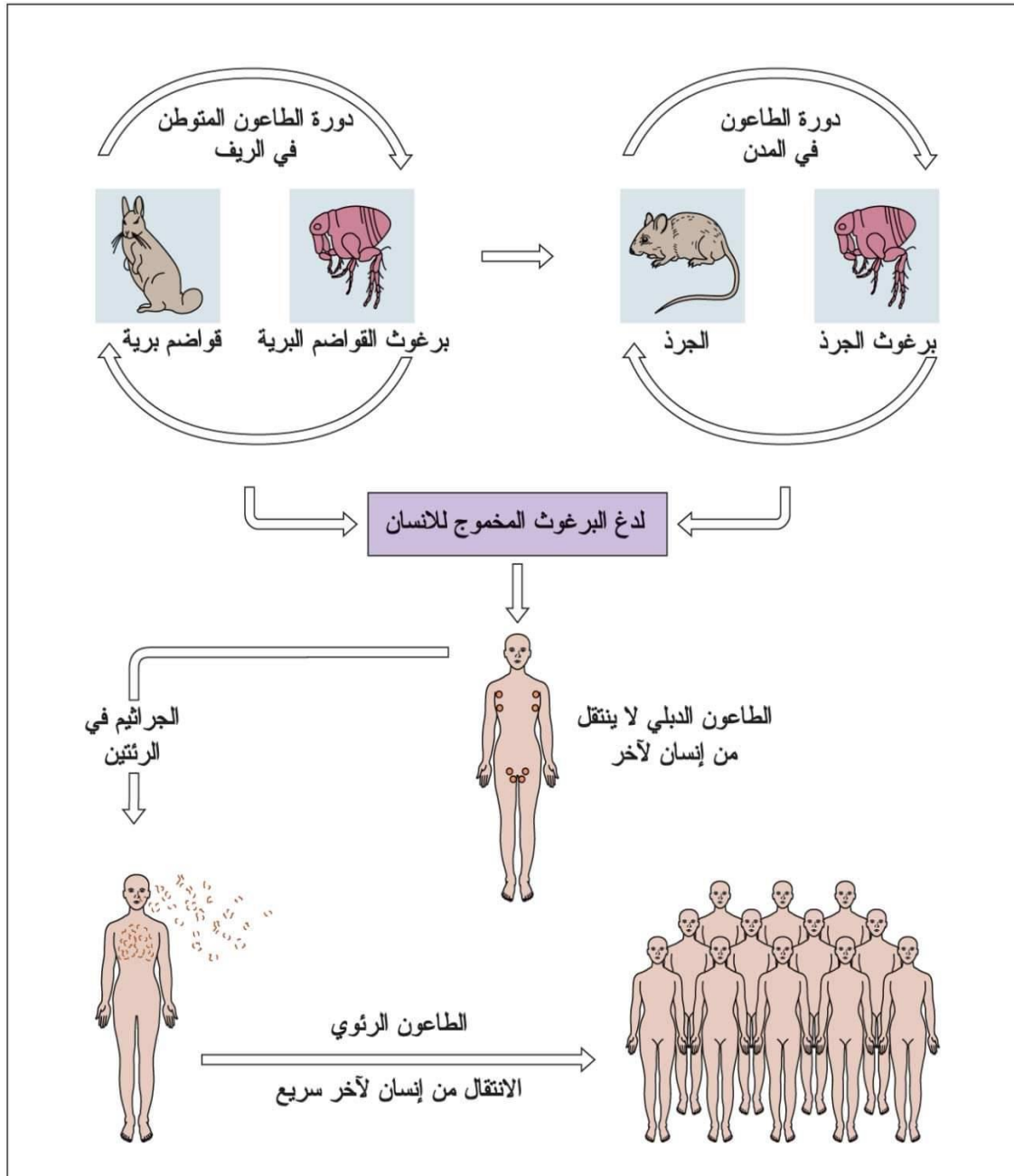
أحمد عبد الرزاق جبر: المرجع السابق، ص 2

الملحق (02): صورة توضح حشرة البرغوث إحدى المصادر الناقلة
لمرض الطاعون



أحمد عبد الرزاق جبر: المرجع نفسه، ص 8.

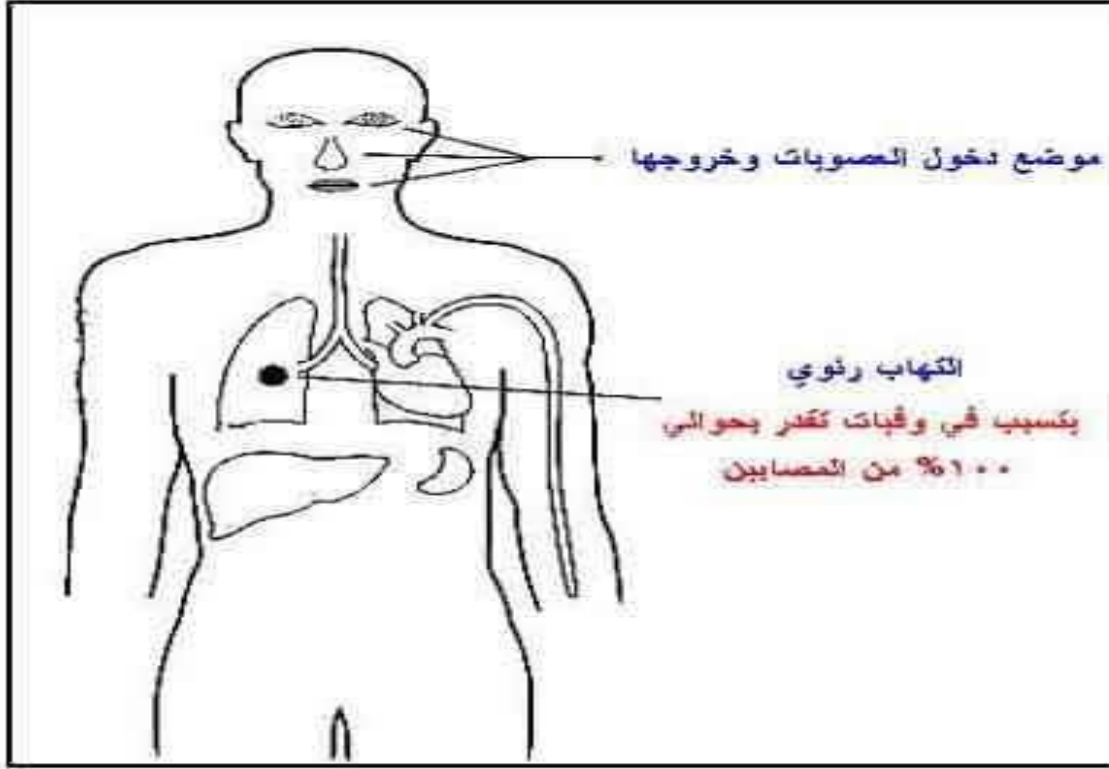
الملحق (03)



موقع المعرفة، 1 سبتمبر 2020، سا 10:00

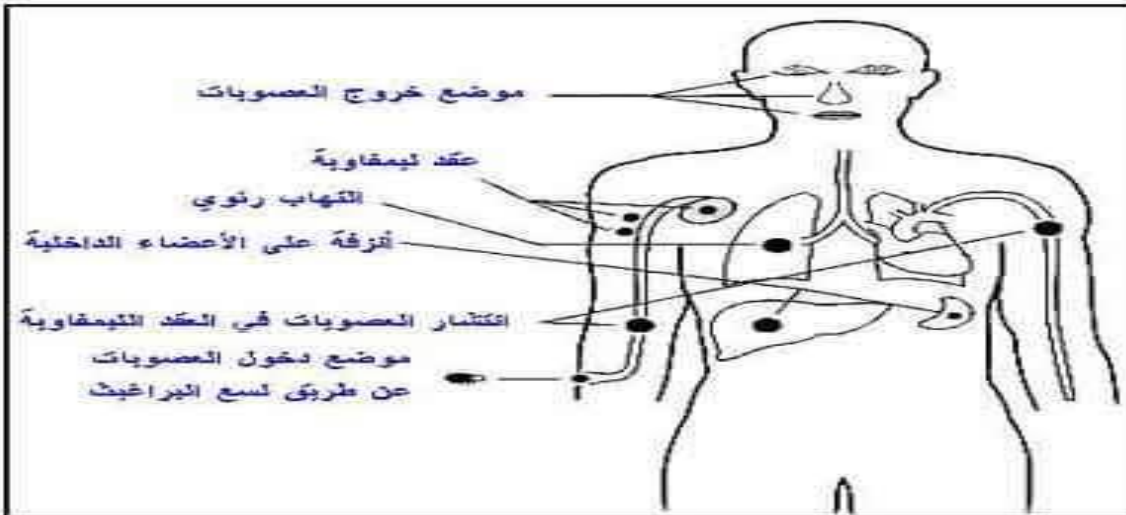
الملحق (04)

شكل



موضع دخول وخروج عصبونات الطاعون
في حالة طاعون الالتهاب الرئوي

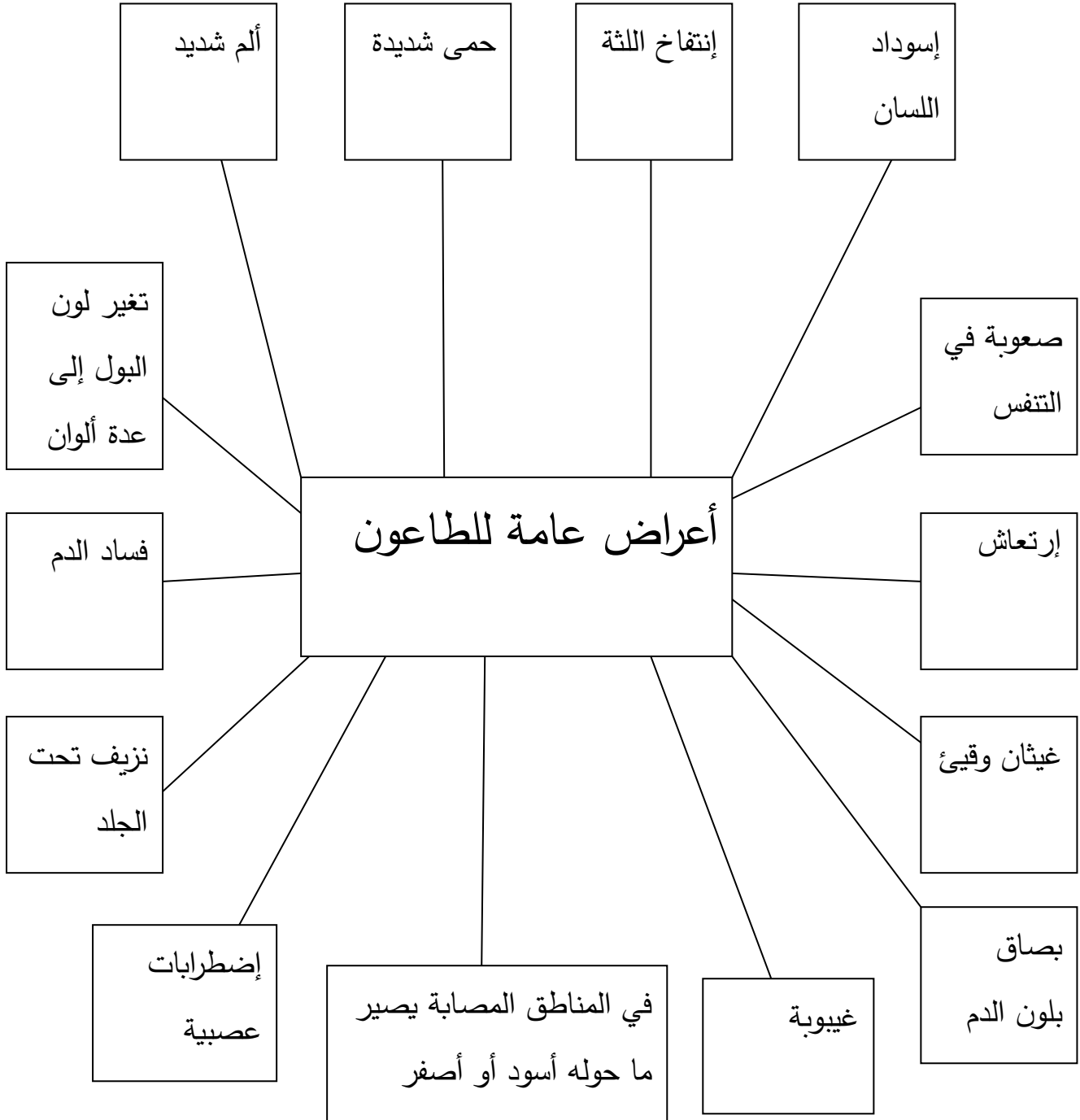
شكل



موضع دخول وخروج عصبونات الطاعون
في حالة الطاعون الدبلي

موقع المعرفة، 01/سبتمبر 2020، سا 11:00

الملحق (05): أعراض عامة للطاعون

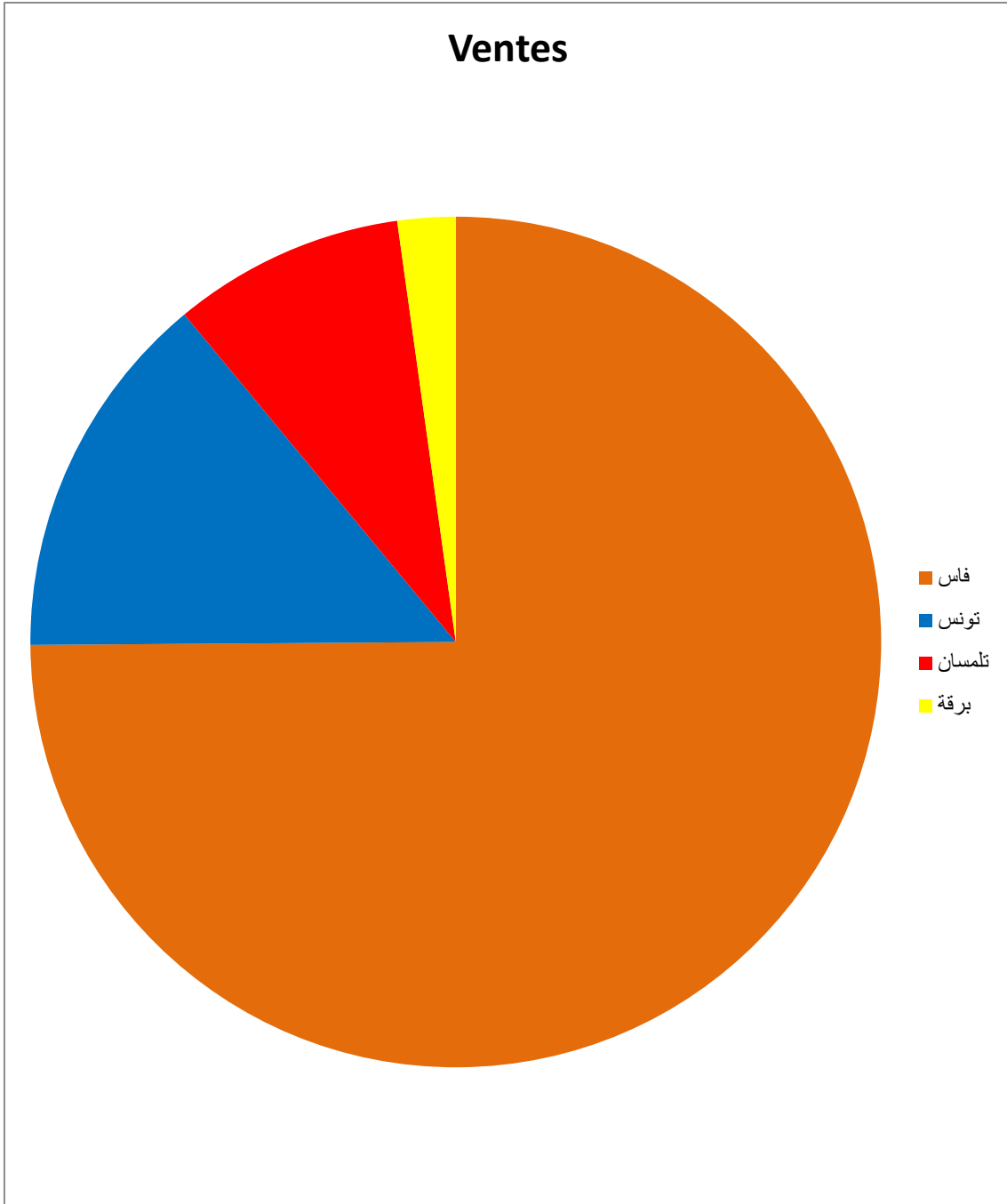


الملحق (06): صور توضح بعض أعراض الطاعون



ويكيبيديا، 01 سبتمبر، 10:15

الملحق (03): دائرة نسبية تظهر إحصائيات لأعداد الوفيات جراء طاعون منتصف القرن الثامن الهجري لبعض مناطق بلاد المغرب الإسلامي



الورّاقية

- القرآن الكريم: (رواية ورش عن نافع)

أولاً- المحررات باللغة العربية:

I- المصادر:

1- المخطوطة:

-ابن أبي حجلة التلمساني، أحمد بن يحيى بن أبي بكر (ت776هـ/1375م):
دفع النعمة في الصلاة على نبي الرحمة، أصل هذه النسخة في مكتبة الأسكوريال،
اسبانيا، رقم 510، مكتبة محمد بن تركي التركي، شبكة الألوكة.

- _____: ديوان ابن حجلة، مصور من النسخة المخطوطة 205
المحفوظة بدار الكتب القومية، فيلم 4279، موقع كتاب بديا.

-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر (ت911هـ/1505م): ما رواه
الواعون في أخبار الطاعون، نسخة مصورة عن مخطوطة رقم 1544، من موقع
يوسف زيدان للتراث والمخطوطات، www.zeidn.com

-ابن عباد النفزي، أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الرندي الفاسي
(ت792هـ/1390م): الرسائل الكبرى المسماة نزهة الناظر المتأمل وقيد السائر
المستعجل، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء.

2- المطبوعة:

- الأبي، أبي عبد الله محمد بن خليفة الوشتاني (ت827هـ/1424م): إكمال إكمال المعلم، دار مطبعة السعادة، مصر، 1328هـ/1910م.
- ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت630هـ/1233م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط1، دار بن حزم، بيروت، لبنان، 1433هـ/2012م.
- _____ : الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، مج2.
- ابن الأحمر، أبي الوليد إسماعيل (ت807هـ/1405م): نثير الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م.
- الأصبهاني، أبي نعيم (ت430هـ/1038م): معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، د.س.
- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي المصري (ت930هـ/1523م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، دار مطابع الشعب، القاهرة، مصر، 1960م.
- البخاري، الجعفي أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت256هـ/870م): صحيح البخاري، ضبط وترقيم: مصطفى ديب البغا، نشر مشترك موفم للنشر ودار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 1912م، ج2، ج3، ج5.
- البرزلي، أبي القاسم أحمد البلوي التونسي (ت841هـ/1437م): جامع مسائل الأحكام لما نزل بالمفتين والحكام، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002م.

- ابن بطوطة (ت779هـ/1377م): رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب
الأمصار وعجائب الأسفار، ط1، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، مراد مصطفى
القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، ج2.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت297هـ/892م): كتاب جمل من أنساب
الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، رياض زركلي، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر،
بيروت، لبنان، 1417هـ/1996م، ج6.
- التميمي، أحمد باب (ت1036هـ/1626م): نيل الابتهاج بتطريز الديباج،
تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، 2000م.
- ابن ثغري بردي الأتابكي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت874هـ/1470م):
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب،
المؤسسة المصرية العامة، مصر، د.س، ج10.
- الجوهري الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت393هـ/1003م): الصحاح
تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط2، دار العلم للملايين،
بيروت، لبنان، 1339هـ/1979م).
- ابن حبيب عبد الملك السلمى الأندلسي (ت238هـ/853م): كتاب التاريخ،
تحقيق: عبد الغني مستور، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 2008م.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد (ت852هـ/1448م): بذل الماعون في فضل
الطاعون، تحقيق: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض،
السعودية، د.س.

- ابن حنبل، أحمد (ت241هـ/855م): مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ/2001م، ج42.

- الحموي، ياقوت شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت626هـ/1229م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397هـ/1984م، مج3، مج4.

- الحميري، محمد عبد المنعم (ت727هـ/1327م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1948م.

- ابن خاتمة، أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد بن علي (ت770هـ/1396م):
تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، تحقيق: محمد حسن، ط1، المجمع التونسي للعلوم والفنون، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1405هـ/2013م.

- ابن الخطيب، أبي عبد الله محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي (ت776هـ/1375م): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1397هـ/1977م، مج3، مج4.

- _____: مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل، تحقيق وتقديم: حياة قارة، ط1، مطبعة الكرامة، الرباط، المغرب، 1436هـ/2015م.

- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت808هـ/1406م): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1431هـ/2001م، ج1، ج6.

- _____ : رحلة ابن خلدون، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1425هـ.
- _____ : شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1417هـ/1996م.
- الخوارزمي، أبو بكر محمد بن العباس (ت383هـ/993م): مفيد العلوم ومبيد الهموم، طبعه السيد محمد هاشم الكتبي، دمشق، سوريا، 1323هـ/1906م.
- أبي داوود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت275هـ/888م): سنن أبي داوود، ضبط وتخريج : شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره يليلي، 1430هـ/2005م، دمشق، سوريا، ج6.
- ابن أبي دينار، أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي قاسم الرعيني القيرواني (ت1111هـ/1698م): المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، المطبعة الدولية التونسية، تونس، 1386هـ.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز شمس الدين أبو عبد الله (ت748هـ/1348م): سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، أكرم البوشي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1402هـ/1982م، ج14.
- _____ : العبر في خبر من غير، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.س، ج1.
- الرازي، أبي بكر محمد بن زكرياء (ت313هـ/925م): الحاوي في الطب، تحقيق: هيثم خليفة طعمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.س، مج4، مج15، مج6، ج20.

-الرافعي، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل بن الحسن القزويني أبي القاسم الشافعي (ت623هـ/1226م): **شرح مسند الشافعي**، تحقيق: أبو بكر وائل محمد بكر زهران، ط1، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1428هـ/2007م، مج1.

-السخاوي، شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمان بن محمد (ت902هـ/1497م): **الذيل التام على دول الإسلام للذهبي**، ط1، تحقيق: مروة حسين إسماعيل، تقديم: محمد الأرنؤوط، مكتبة العروبة، الكويت، دار العماد، بيروت، لبنان، 1413هـ/1992م.

-ابن سينا، أبي علي الحسين بن علي (ت428هـ/1037م): **القانون في الطب**، وضع حواشيه: محمد أمين الصناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420هـ/1999م، مج1، ج3.

-السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمان بن أبي بكر (ت911هـ/1505م): **التحدث بنعمة الله تعالى**، تحقيق: إليزابيث ماري سارتين، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، مصر، د.س،

- _____ : **رسالة في مرض الطاعون**، تحقيق: إياد عبد الحسين صيهود الخفاجي، عمار محمد يونس الساعدي، جامعة كربلاء، كلية التربية، قسم التاريخ، د.س.

-الشقوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللخمي (ت بعد776هـ/1375م): **النصيحة**، تحقيق: محمد حسن، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 2013م.

-ابن الشماع، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت بعد 861هـ/1457م): الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: الطاهر بن محمد العموري، الدار العربية، دم، 1984م.

-الصفدي، خليل بن أبيك (ت764هـ/1363م): ألحان السواجع بين البادئ والمراجع، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، سوريا، 1435هـ/2004م، ج1.

-الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/923م): تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1970م، ج4.

-ابن عذاري، أبي العباس أحمد بن محمد (ت712هـ/1312م): البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق: بشار عواد معروف، محمود بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1434هـ/2013م، مج3.

-العيدروس، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت978هـ/1461م): النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق: أحمد حالو وآخرون، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 2001م.

-الفزاوي، أبي الحسن علي بن عبد الرحمان (تق8هـ/14م): فكهاات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار، تحقيق: عبد الله حمادي، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2004م.

-الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ/1414م): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1926هـ/2005م.

- ابن قنفذ القسنطيني، أبي العباس أحمد بن حسن بن علي الخطيب (ت810هـ/1407م): **أنس الفقير وعز الحقيير**، تحقيق: محمد الفاسي وأودلف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، المغرب.

- _____: **الوفيات**، تحقيق: عادل نويهض، ط4، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م.

- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي (ت751هـ/1349م): **الطب النبوي**، ط2، دار نوبليس، بيروت، لبنان، 2010م، مج1، مج5.

- الكتاني، الشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن ادريس (ت1345هـ/1926م): **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، ج3.

- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الشافعي (ت774هـ/1373م): **البداية والنهاية**، تحقيق: حسان عبد الله المنان، بيت الأفكار الدولية، بيروت، لبنان، 2004م، ج1.

- مالك، بن أنس (ت179هـ/798م): **الموطأ**، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م.

- ابن ماجه، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت273هـ/886م): **سنن ابن ماجه**، ضبط وتخريج: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، د.س، ج2.

- مجهول: **تحفة الأحباب في ماهية النبات والأعشاب**، مطبوعات معهد العلوم المغربية، مكتبة بول قنطير، باريس، فرنسا، 1934م، ج24.

-ابن مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم (ت1360هـ/1941م): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق: عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ج1.

-مسلم، أبي الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ/875م): صحيح مسلم، ضبط وتخرّيج: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1412هـ/1991م، ج3، ج4.

-ابن منظور الإفريقي المصري (711هـ/1311م): لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، المعارف، القاهرة، مصر، د.س، مج1، مج2، مج3، مج4، مج5، مج6.

-المقري التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت1041هـ/1632م): أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: محمد السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1358هـ/1939م، ج1.

-المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت845هـ/1442م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القاهر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/1997م، ج4.

-المنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي (ت656هـ/1258م): الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ضبط وتخرّيج: إبراهيم شمس الدين، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ج2.

-المواق محمد (897هـ/1492م)، الرصاع محمد (894هـ/1489م): الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية، تحقيق: محمد حسن، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007م.

-ابن النفيس، علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي (ت687هـ/1288م): **الموجز في الطب**، قرأه وقدم له وعلق عليه: يحيى مراد، عبد الكريم، منتديات الكتب المصورة ومنتديات مكتبتنا العربية، د.س.

-ابن الوردي، زين الدين أبو حفص بن مظفر بن عمر الوردي الشافعي (ت749هـ/1349م): **تتمة المختصر في أخبار البشر**، تاريخ ابن الوردي، المطبعة الوهبية، مصر، 1285، ج2.

-_____ : **ديوان ابن الوردي**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 1427هـ/2006م.

-الوزان، الحسن بن محمد الفاسي المعروف بلون الإفريقي (ت960هـ/1554م): **وصف إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ج1.

-الونشريسي، أبي العباس أحمد بن يحيى (ت914هـ/1508م): **المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، أخرجه جماعة من الفقهاء، بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1401هـ/1981م، ج7، ج11.

II - المراجع:**1 - الكتب:**

- الألباني، محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1415هـ/1995م.
- _____: صحيح الترهيب والترغيب، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض السعودية، 1421هـ/2000م، ج5.
- _____: ضعيف الترمذي، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1420هـ/2000م.
- بوجرة، حسين: الطاعون وبدع الطاعون الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير (1350م-1800م)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2011م.
- ثمامة، ابتسام: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م.
- جبر، أحمد عبد الرزاق: الطاعون الخطر القادم، جامعة المنصورة، كلية الزراعة، قسم إنتاج الحيوان، مصر، 2009م.
- جوتفريد، روبرت.س: الموت الأسود جائحة طبيعية وبشرية في عالم العصر الوسيط، ترجمة: وتقديم: المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، مصر، 2019م.
- الحاج، أحمد يوسف: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ط2، مكتبة ابن حجر، دمشق، سوريا، 1424هـ/2003م.
- أبو الحب، جليل: الحشرات الناقلة للأمراض، عالم المعرفة، الكويت، 1982م.

- حسن، محمد كامل: الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، طبع عن حكومة الجمهورية العربية الليبية، ج2.
- الخطابي، محمد العربي: الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ط ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م. ج2.
- الدومي، أحمد عبد الجواد، أبو عبيدة بن الجراح، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت، لبنان، د.س.
- رضا، محمد: موسوعة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين الفاروق عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" (2)، ط1، نوبليس أنترناشيونال، بيروت، لبنان، 2011م، مج8.
- الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج1، ج4، ج7.
- زكور، محمد ياسر بن محمد بن جميل: اصطلاحات الطب القديم، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 2013م.
- السوسي، محمد المختار: إيليج قديما وحديثا، تعليق: محمد بن عبد الله، المطبعة الملكية بالرباط، المغرب، 1386هـ/1966م.
- عبد الله السيد، عبد الحكيم: إعجاز الطب النبوي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 1418هـ/1998م.
- عبد الله، عمر محمد: الطب الوقائي في الإسلام، ط1، شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة، الموصل، العراق، 1410هـ/1990م.

-العدوي، أحمد: الطاعون في العصر الأموي صفحات مجهولة من تاريخ الخلافة الأموية، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، بيروت، لبنان، 2018م.

-فيلالي، عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ج1.

-لوعوف، جاك: التاريخ الجديد، ترجمة وتقديم: محمد الطاهر المنصوري، مراجعة: عبد الحميد هنية، ط1، المطبعة العربية، بيروت، لبنان، 2007م.

-كامل، حسين محمد: الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، طبع عن نفقة حكومة العربية الليبية، ج2.

2- الدوريات:

-السعداوي، أحمد: "المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون: الطاعون الأعظم والطواعين التي تلتها القرنين 8-9هـ/14-15م"، (إيبلا)، العدد175.

-الفرقان، الحسين: "مفهوم الوباء عند الإخباريين المغاربة في القرن التاسع عشر"، الجمعية المغربية للبحث التاريخي الجديدة، دار المنظومة، (د.م) 2002م.

-القادري، إبراهيم بوتشيش، "أثر قيام الدول وسقوطها في التطور الديمغرافي بالمغرب في العصر الوسيط"، (دراسة حالة)، مجلة كنانيش، (وجدة، المغرب)، عدد1، 1999م.

- _____ : "تجديد التاريخ الإسلامي، كيف ومن أين ابتداء؟"، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد، (لبنان)، ع22، س06، 1414هـ/1994م.

-مجموعة مؤلفين: مصطلحات علمية، مجلة فصلية (مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية)، عدد 115، (د.م)، 1436هـ/2015م.

-Agrou of outhors: grand past noir en franc et du mond 20 mars 2020.

-Marc Simond Margaret Godley Pierre Mouriquand: Poul louis simond and his discovery of plague transmission by rat fleas a centenary, journal of the royal society of medcin fbruary, 1998.

-Michel Drancourt and Didier Raouft: Molecular delection of yersinia pestis in pulp microbiology 150 s.dp.

4- الرسائل الجامعية:

-حتحات، فاطمة الزهراء: وباء الطاعون الأسود بأوروبا الأثينية خلال القرن الرابع عشر ميلادي (رسالة ماجستير)، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، 1435هـ-1436هـ/2014م-2015م.

-مزدور، سمية: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (558هـ-927هـ/1152م-1520م): رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1429هـ-1430هـ/2008م/2009م.

5- الملتقيات:

-حبيدة، محمد: كتابة تاريخ المغرب وتحقيب الزمن الطويل، ضمن الكتاب الجماعي: التأريخ العربي وتاريخ العرب كيف كتب وكيف يكتب؟ الإجابات الممكنة، إعداد وتنسيق: وجيه الكوثراني، ط1، ضمن أعمال المؤتمر السنوي الثالث للدراسات التاريخية، المنعقد ببيروت، بتاريخ 20-24/004/2016م، الدوحة، بيروت، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات.

6- المواقع الإلكترونية:

-مرض فيروس كورونا (كوفيد 19) سؤال وجواب منظمة الصحة العالمية، 5أوت 2020م،س25:05.

-القناص، محمد بن عبد الله: معنى حديث الشهداء خمسة، موقع الفتاوى، نشر 10مارس2004م، أطلع عليه 13مارس2020م.

-فيديو بن عثيمين محمد بن صالح: من الكبائر الفرار من الزحف، قناة المجد، موقع كن داعيا، نشر 11جوان2015، أطلع عليه 5مارس 2020.

الكشافات

- 01- كشف الآيات القرآنية
- 02- كشف الأحاديث النبوية
- 03- كشف الأبيات الشعرية
- 04- كشف الأعلام البشرية
- 05- كشف الأعلام الجغرافية
- 06- كشف المصنفات العلمية
- 07- كشف الاصطلاحات العلمية

01- كشاف الآيات القرآنية

الصفحة	السورة	رقمها	الآية
33	سورة المجادلة	22	﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾
21	سورة النجم	4-3	﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

02- كشاف الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث
28	«أتاني جبرائيل عليه السلام بالحمى والطاعون فأمسكت بالحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام فالطاعون شهادة لأمتي ورجز على الكافر»
20-31-51	«إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه -الطاعون- وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه»
33	«إستقرئوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبي ومعاذ بن جبل»
17	«اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وبارك لنا في صاعنا وفي مدنا»
80	«أعددتا بين يدي الساعة: موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقصاص الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا»
33	«إن لكل أمة أمينا وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح»
22	«إن من القرف التلف»
23-54	«إنا قد بايعناك فارجع»

28	«الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله»
27-14	«الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم به في أرض فلا تدخلوا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه»
28-13	«الطاعون شهادة لكل مسلم»
45	«الطاعون وخز أعدائكم من الجن»
-28-16 45	«على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»
37-27	«فناء أمتي بالطعن والطاعون، فقيل يا رسول الله هذا الطعن عرفناه فما الطاعون قال وخز أعدائكم من الجن وفي كل شهادة»
27	« كان عذابا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابرا يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له من أجر الشهيد»
57	«كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه»
27	«لا تفنى أمتي إلا بالطعن والطاعون»، قلت يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه، فما الطاعون؟، قال: " غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف»

-48-22 -51-50 -54-52 57	« لا توردوا الممرض على المصح »
-49-37 -54-51 65	« لا عدوى »
53	« لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الأسد »
-56-50 58	« لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة، فقال أعرابي يا رسول الله: فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الضباء فيجيء البعير الأجرى فيدخل فيها فيجر بها كلها قال: "فمن أعدى الأول" »
56	« لا يعدي شيئاً شيئاً »
29	« لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا »
28	« ما تعدون الشهيد فيكم » قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: "إن شهداء أمتي إذا لقليل"، قالوا: فمن هم يا رسول الله، قال: "من قُتِلَ في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ومن مات في البطن فهو شهيد" »

04- كشاف الأعلام البشرية:

-ع-	-أ-
أبو العباس بن عاشر: 99	الأمين الربيعي: 99
عبد الرحمان بن عوف: 31	-ب-
أبو عبد الله محمد الظريف: 99	بول لويس: 15
أبو عبد الله محمد بن عبد السلام: 92	بيرابان: 75
أبو عبد الله محمد بن هارون: 93	-ح-
أبو عبيدة بن الجراح: 31، 33، 52	حسن بن علي -والد بن قنفذ
أبو عبيد القاسم بن سلام: 54	القسنطيني-: 61، 87، 93، 95
ابن عرفة: 86، 96، 99، 100	أبو الحسن المنتصر: 99
علي أومليل: 98	-خ-
عمر بن الخطاب: 31-32-52	ابن خزيمة: 54
عمر بن العاص: 32	-ز-
-ق-	أبي زكرياء بن هذيل: 39
القاضي تاج الدين: 54	-ش-
-م-	شرحبيل بن حسنة: 35
محمد بن أحمد بن محمد بن عطا الله:	شمس الدين أبو عبد الله محمد: 93
85	-ط-
أبو محمد السقفي: 87	الطبيبي: 58
محمد بن عبد الله بن عبد النور	
الندرومي: 92	

-ي-

يزيد بن أبي سفيان: 34

يغمراسن: 99

بيرسن: 15

ابن أبي مدين: 22، 59، 86، 87

أبي مدين شعيب: 98

معاذ بن جبل: 34

05- كشاف الأعلام الجغرافية

	-أ-	أرغونة: 76
		الإسكندرية: 66، 77
		آسيا الوسطى: 75
		إشبيلية: 76
		إفريقية: 77، 78، 83، 90، 95
		ألمرية: 38، 43، 48، 70، 74
		الأندلس: 38، 76، 77، 95
		أوروبا: 76
	-ب-	البحر الرومي: 76، 77
		برجلونة: 76
		برقة: 77، 92، 114
		بسرغ: 30، 31
		بلاد الخطا: 73، 74، 75، 76
		بلاد الحبشة: 74
		بلكاش: 75
		بلنسية: 76
		بيزة: 76
	-ت-	تلمسان: 92، 98، 114
		تونس: 40، 86، 87، 92، 114
-ج-		الجحفة: 17
		الجزر الرومانية: 76
		جنوة: 75، 83
-ح-		حمص: 66
-د-		دمشق: 66، 69، 82
-س-		سلا: 22، 59، 87، 99
		سمرقند: 74
		السوس: 91
-ش-		الشام: 29، 30، 31، 74، 75، 77، 83
		شقورة: 39
		شلة: 90
-ص-		صقلية: 77

-ل-	الصين: 73، 74، 75، 76
لندن: 16	
-م-	-ع-
المدينة المنورة: 16، 17، 28، 29،	عراق العجم: 31، 76
31، 45	عسقلان: 40
مراكش: 21، 30، 66، 90	عمواس: 29، 30، 32
مصر: 74، 77، 81، 91	-غ-
المغرب الإسلامي: 84، 85، 86،	غزة: 66
88، 98، 99	-ف-
المغرب الأقصى: 78	فاس: 78، 79، 87، 91، 92، 114
المغرب الأوسط: 78	-ق-
مكة: 74، 83	فرنسية: 76، 77
ميورقة: 77	قرطبة: 21
-ي-	القسطنطينية: 76
يابسة: 77	قشتالة: 76
	قفا: 76

فهرس المحتوى

الموضوع	الصفحة
المقدمة:	(08-01).....
الفصل الأول: الطاعون: المصطلح والدلالة.....	(35-09).....
أولاً: مفهوم الوباء والطاعون.....	10.....
1- مفهوم الوباء عند اللغويين والأطباء.....	10.....
أ- عند اللغويين.....	10.....
ب- عند الأطباء.....	11.....
2- الطاعون في المصادر العربية الوسيطية بين التعريف اللغوي والاصطلاحي.....	12.....
أ- الطاعون لغة.....	12.....
ب- الطاعون اصطلاحاً.....	13.....
3- تعريف المعاصرين للطاعون.....	15.....
4- الفرق بين الوباء والطاعون.....	16.....
ثانياً: أنواع الطواعين.....	17.....
1- الطاعون الدملي الغددي أو الخراجي.....	17.....
2- الطاعون الرئوي.....	18.....

19.....	3- الطاعون الدموي التسمي العفني
19.....	ثالثا: طرق الوقاية من الطاعون
19.....	1- الحجر الصحي
22.....	2- العزل
23.....	3- الطاعون بين الوقاية والعلاج عند أطباء العصر الوسيط
24.....	أ- في الاحتراز منه
25.....	ب- علاجه إذا استحك المرض
26.....	رابعا: الطاعون في مدونة الحديث النبوي الشريف
29.....	خامسا: طاعون عمواس '18هـ/639م) أشهر الطواعين في الإسلام
(71-36).....	الفصل الثاني: الطاعون في المدونة الإسلامية الوسيطية
37.....	أولا: مسائل حول الطاعون بين الطبيب والفقيه
38.....	أ- الأطباء
40.....	ب- الفقهاء
41.....	1- حول أسباب الطاعون
41.....	1-1 عند الأطباء
44.....	2-1 عند الفقهاء
48.....	2- مسألة العدوى
48.....	1-2 عند الأطباء

53.....	2-2 عند الفقهاء.....
60.....	ثانيا: أدعية قيلت زمن الطاعون.....
61.....	ثالثا: الطاعون في الأصول المغربية.....
61.....	1- الفقه.....
64.....	2- الطب.....
66.....	3- الرحلة.....
67.....	4- التصوف والولاية.....
67.....	رابعا: أبيات شعرية نظمت أيام الطاعون الأسود.....
الفصل الثالث: طاعون منتصف القرن الثامن الهجري في بلاد المغرب منطلقاته ومآلاته (72-102)	
73.....	أولا: ظهور طاعون منتصف القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي.....
73.....	1- جذوره الأولى.....
76.....	2- انتقال الطاعون إلى بلاد المغرب الإسلامي وانتشاره فيه.....
80.....	ثانيا: الأسماء التي أطلقت على طاعون منتصف القرن الثامن الهجري.....
84.....	ثالثا: مواجهة الطاعون بين العوام والخواص.....
88.....	رابعا: التأثير الديموغرافي والذهني.....
88.....	1- التأثير الديموغرافي.....
89.....	أ- معطيات انطباعية.....

92.....	ب- معطيات رقمية.....
94.....	2- التأثير الذهني.....
94.....	1-2 العوام.....
95.....	2-2- الخواص.....
95.....	2-2-1- على مستوى التأليف.....
99.....	2-2-2- الاعتقاد في الولي.....
(106-104).....	الخاتمة:
(114-107).....	الملاحق:
-115).....	الوراقية:
	(130
(139-132).....	الكشافات:
140.....	فهرس المحتوى.....

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ